تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

١. قولــه عز وجــل : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ذكرنا الكلام في هذا مســتقصىً في أول سورة يوســف ويونس ، وكذلك في سورة الرعد . وذكرنا في سورة الرعد أن الكِتَاب هناك يجوز أن يريد به التوراة ، ويجوز أن يريد به القرآن ، وهاهنا أيضاً يجوز فيه الوجهان ؛ أحدهما : أن يراد بالكتــاب الذي كان قبل القرآن من التوراة والإنجيل ، ثم عطف عليه القــرآن ، قال صاحب النظم : «تقدير هــذه الآية في الكلام : زيدٌ هذا صاحب الفرس وحمارٍ تارةً»[١] ، وهذا معنى قول مجاهد وقتادة[٢] .

---

(١) المثبت من (ش) و(ع) ، وفي (أ) و(د) : (فاده) ، وهذا المثال صحيح من الناحية النحوية ، لكنه لا يليق التمثيل به في هذا الموضع ، ولو قال : هذا زيدٌ صاحب الكتاب وقلم تارةً ، لكان أليق بالمقام .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١ عنهما من طريقين ، وورد في تفســير الطوسيً ٦/ ٣١٧ عنهما ، وانظر : تفسير ابن عطية ٧/ ٢٧٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧١ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة ، ولم أجده في تفسير مجاهد .

وقال آخرون : الْكِتَابِ هو القرآن[١] ، وجمع بين الوصفين لما فيهما من الفائدتين ، وإن كانا لموصوف[٢] واحد ؛ وذلك أن الْكِتَابَ يفيد أنه مما يُكتب ويُدون ، ﴿وَقُرْءَانٍ﴾ يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض[٣] ، ويكون كقوله[٤] :

إِلى الْمَلِك القَرْمِ . . . . . (البيت)

وقد مر[٥] ، وذكرنا معنى (الْمُبِين) في فاتحة سورة يوسف .

---

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٤٧ ، والطوسي ٦/ ٣١٧ ، وتفسير ابن عطية ٧/ ٢٧٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢ ، والخازن ٣/ ٨٨ .

(٢) في (ش) و(ع) : (بالموصوف) .

(٣) انظر : الفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٨٣ .

(٤) لم أقف على قائله .

(٥) أورده كذلك في نهاية السورة ، والبيت كاملاً هو :

إلى الملك القَرْمِ وابنِ الهُمَام ولَيْثِ الكتيبة في المُزْدَحَمْ

وقد ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء : ١/ ١٠٥ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣١٧ ، والزمخشري ١/ ٢٣ ، والإنصاف ٣٧٦ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٧٨ ، والخزانة ١/ ٤٥١ ، ٥/ ١٠٧ ، ٦/ ٩١ . (القَرْم) السيد ، (الهُمام) الملك العظيم الهمّة ، (الكتيبة) جماعة الخيل ، وهي الفصيل من الجيش ، (المُزدَحَمْ) مكان المعركة . والشاهد : أنه عطف ابن الهمام ، وليث الكتيبة ، على القرم ، وكلها أوصاف لشيء واحد ؛ هو الملك ، وذلك جائز عند اهل اللغة . انظر : الانتصاف من الإنصاف ، بهامش الإنصاف ٢/ ٤٧٠ .

٢. قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وقُرئ (رُبَما) بالتخفيف ، قال السُّكَّري[١] : «ربَّما وربتما ورُبَّ ، حرف جر عند سيبويه[٢] ، ويلحقها (ما) على وجهين : أحدهما : أن تكون نكرة بمعنى شيء ، وذلك كقوله :

رُبَّما تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهَا فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[٣]

(١) الحسن بن الحسين بن العلاء ، أبو سعيد النحويُّ اللغويُّ ، المعروف بابن السكري ، أخذ عن أبي حاتم السجستاني ، والرياشي ،كان راوية للبصريين ، وكان ثقة ديناً صادقاً ، له كتاب الوحوش ، وكتاب النبات ، وأشعار هذيل مات سنة ٢٧٥هـ ، وقيل ٢٩٠هـ ، وكان مولده سنة ٢٠٢هـ ، انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٨٣ ، والفهرست ٢١٧ ، ونزهة الألباء ١٦٠ ، والبلغة : ٢٩٦ ، والبغية ١/ ٥٠٢ .

(٢) انظر : الكتاب باب الجر ١/ ٤١٩ .

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٤٤ ، وفيه : (تجزع) بدل (تكره) ، وورد البيت في الكتاب ٢/ ١٠٩ ، ٣١٥ ، واللسان (فرج) ٦/ ٣٣٦٩ ، والخزانة ٦/ ١٠٨ ، ١٠/ ٩ ، وورد غير منسوب في البيان والتبيين ٣/ ٢٢٤ برواية (تجزع) ، والمقتضب ١/ ٤٢ ، وجمهرة اللغة ١/ ٤٦٣ ، وإيضاح الشعر ٢٩٥ ، ٤٤٥ ، ومعاني الحروف للرماني ١٥٦ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣١٤ برواية (تجزع) ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٥٤ ، وأساس البلاغة ٢/ ١٩١ (فرج) ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٧٧ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٢ برواية (تجزع) ، وإنباه الرواة ٤/ ١٣٤ ، وشرح المفصل ٤/ ٣ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٣ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٢ ،٣١٦ ، وشرح الأشموني ١/ ١٩٢ . (الفَرجة) بالفتح قيل : الراحة من حزن أو مرض ، و(الفُرجة) بالضم : الخلل بين الشيئين ، (العقال) بالكسر الحبل الذي يشد به قوائم الإبل ، والمعنى : ربَّ شيء تكرهه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة ، وله فَرجة سهلة سريعة تعقب الضيقَ والشدة ؛ كَحَلِّ عقال الدابة .

(فما) في هذا البيت اسم لما يُقَدَّر من عَوْد الذكر إليه من الصفة ، المعنى : رب شيء تكره النفوس ، وإذا عاد إليها الهاء كان اسماً ولم يجز أن يكون الحرف[١] ، كما أن قوله سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ [المؤمنون :٥٥] لما عاد الذكر إليه علمت بذلك أنه اسم ، ويدلك على أن (ما) قد تكون اسماً إذا وقعت بعد رب وقوع (من) بعدها[٢] في نحو قوله[٣] :

يـا رُبَّ مَـنْ يُبْغِضُ أَذْوادَنـا رُحْنَ عَـلى بَغْضائِـهِ وَاغْتَدَيْنْ[٤]

وكـما دخلت على (مَنْ) وكانت نكرة ، كذلك تدخل على (ما) فهذا ضرب ، والضرب الآخـر : أن تدخل (ما) كافة ، نحو الآية ، والنحويون يسـمّون (ما) هذه الكافة ؛ يريدون أنها بدخولها كفت الحرفَ عن العمل الذي كان له ، وهيأته لدخوله على ما لم يدخل عليه ، ألا ترى أن (رب) إنما تدخل على الاسـم المفرد ؛ نحو : رب رجل يقول ذلك ، ولا تدخل على الفعل ؟ فلما دخلت (ما) عليها هيأتها للدخول على الفعل كهذه الآية»[٥] ، فإن قيل لم قال : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ﴾ فجاء بعد ربما بفعل مسـتقبل ، وسـبيلها أن يأتي بعدها الماضي كما يقال : ربما قصدني عبدالله ، ولا يكاد يستعمل المسـتقبل بعدها ؟ قال ابن الأنباري : «المستقبل في هذا بمنزلة

---

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٦٠ بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (بحدها) ، والمثبت هو الصحيح ، وموافق للمصدر .

(٣) هو عمرو بن قميئة جاهلي .

(٤) ملحقـات ديوانـه ٨١ ، وورد في الكتـاب ٢/ ١٠٨ ، والأزهيـة ١٠١ ، وأمـالي ابـن الشـجري ٣/ ٦٤ ، ٢١٩ ، وورد بلا نسبة في الحيوان ٣/ ٤٦٦ ، والمقتضب ١/ ٤١ ، والمسائل البغداديات ٥٦٦ (صدره) ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٢ ، وشرح المفصل ٤/ ١١ ، ومعجم الشعراء ٢٧ وقد نسبه إلى عمرو بن لأي (جاهلي) . (الأذواد) ، جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى الثلاثين ، يعني أنهم أعزاء لا يسـتطيع أحد صد إبلهم عن مرعـى ، مما لهم من قوة ومنعة ، (اغتدين) غدا يغدُو غدْواً وغُدواً ، واغتدى : بكّر ، والاغْتداء : الغُدُوُّ . اللسان (غدو) ٦/ ٣٢٢١ .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ٣٦ وهو نقل طويل مع اختصار يسـير ، وانظر : تفسير الطوسي ٦/ ٣١٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٢ .

الماضي ، وإنما جاز الماضي هاهنا وهو لأمر لم يأت ؛ لأن القرآن نَزَّل وعده ووعيده وما كان فيه كأنه عيان ، فجرى الكلام في ما لم يكن منه كمجراه في الكائن ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ [سبأ :٥١] كأنه ماضٍ وهو منتظَر ؛ لصدقه ، وكذلك قوله : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير :١] وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف :٤٤]» ، وهذا معنى قول الفرَّاء في هذه الآية[١] ، وقال أبو علي الفارسي : «إنما وقع ﴿يَوَدُّ﴾ في الآية على لفظ المضارع ؛ لأنه حكاية لحال آتية ،كما أن قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [النحل :١٢٤] حكاية لحال آتية أيضاً ، ومن حكاية الحال قول القائل[٢] :

جَـارِيـةٌ في رَمَضَـانَ الماضِي تُقَطِّـعُ الحَـدِيثَ بِالْإِيمَاضِ[٣]

قال : «ومن زعم أن الآية على إضمار (كان) وتقديره : ربما كان يود الذين كفروا ، فقد خرج بذلك عن قول سيبويه[٤] ، ألا ترى (كان) لا تُضمر عنده ، ولم يُجِزْ : وعبدالله المقتول ، وأنت تريد : كن عبدالله المقتول ؟» ، قال : «ويجوز أن يكون (ما) في هذه الآية صفة بمنزلة شيء ، و﴿يَوَدُّ﴾ صفة له ؛ وذلك أن (ما) لعمومها تقع على كل شيء ، فيجوز أن يعني بها الودَّ ؛ كأنه في هذا الوجه أيضاً

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٢ .

(٢) منسوب لرؤبة وهو في ملحقات ديوانه ١٧٦ وروايته :

لقد أتى في رمضان الماض جاريةٌ في درعها الفضفاضِ
تُقطِّعُ الحديث بالإيماض أبيض من أختِ بني إباضِ

(٣) ورد غير منسوب في تفسير الطوسي ٦/ ٣١٤ ، وغرائب التفسير ١/ ٥٨٥ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٨٥ واللسان (رمض) ٣/ ١٧٣٠ ، والخزانة ١/ ١٥٦ ، والإنصاف : ١٢٤ برواية :

جارية في درعها الفَضْفَاض

والمعنى أن القوم كانوا يتحدثون فأومضت امرأة فتركوا الحديث واشتغلوا بالنظر إليها لبراعة جمالها .

(٤) لأن هذا ليس من مواضع إضمار كان عنده ؛ فكان لا تضمر عنده إلا حيث يكون حذف مقتضيها ، وفي موضع تقوى الدلالة عليها . ذكره المنتجب في الفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٨٥ ، وانظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٤ .

حكاية حال ، ألا ترى أنه لم يكن بَعْدُ ؟» انتهى كلامه .[١] وقد تلي (ربما) الأسماءُ ، وكذلك (ربتما) ، أنشد ابن الأعرابي[٢] :

مـــاوِيَّ يَـــا رُبَّتَما غـــارَةٍ شَـعْواءَ كَاللَّذْعَـةِ بِالْـمِيسَمِ[٣]

وإن قيـل : لِمَ[٤] لَمْ تكف (ما) (رب) عن العمل كما كفت (إنَّ) في قولك : إنما الله ، وإنـما زيد ؟ ! قيل الفرق بينهما أن (إنَّ) حرف الابتداء ، فلما سُـلب العمل بالكف لم يبق للجملة معنى سوى الابتداء ، وحق الابتداء الرفع ، ومعنى (رب) وهو التقليل موجود في الاسـم كل حال ، دخل عليه (ما) أو لم يدخل فتبَيَّن أثره في الاسـم ، فأما قراءة من قرأه ﴿ رُبَمَا ﴾ بالتخفيف[٥] ؛ فلأنه حرف مضاعف ، والحروف المضاعفة قد تحذف نحـو : إنَّ ، وأنَّ ، ولكنَّ ، قد حذف[٦] كل واحد من هذه الحروف ، وليس كل المضاعف يحذف نحو (ثُمَّ) ، لم يُحك فيه الحذف[٧] ،

---

(١) الحجة للقراء ٥/ ٣٩ بنصه .

(٢) والبيت لضمرة بن ضمرة النهشلي (جاهلي) .

(٣) ورد البيت منسوباً في نوادر أبي زيد ٢٥٣ ، والمعاني الكبير ٢/ ١٠٠٥ ، والخزانة ٩/ ٣٨٤ . وورد غير منسـوب في تهذيب اللغـة (مـاء) ٤/ ٣٣١٩ ، ٤/ ٣٨١٩ ، و(رب) ٢/ ١٣٣٩ ، و(موا) ٤/ ٣٤٦٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٣٥ ، والإنصاف ٩٠ ، وشرح المفصل ٨/ ٣١ ، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ٤١٣ ، واللسـان (ربـب) ٣/ ١٥٥٢ ، والخزانـة ١١/ ١٩٦ ، ورواية النـوادر والمعاني والحجة والأمالي : (بل ربتما) . (ماويَّ) : أراد ماويّة ؛ من أسـماء النسـاء ، فرخَّم . (الشعواء) الغارة الكثيرةُ المنتشرة ؛ أراد الخيل التي تغير ، (الـمِيسم) ما يوسم به البعير بالنار .

(٤) في (أ) و(د) : (لو) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح لاستقامة المعنى به .

(٥) همـا نافـع وعاصـم . انظـر : السـبعة ٣٦٦ ، وإعـراب القـراءات السـبع ١/ ٣٣٩ ، وعلـل القراءات :١/ ٢٩٣ ، والحجة للقراء ٥/ ٣٥ .

(٦) في النسخ جميعها : (خفف) ، والمثبت هو الصحيح لاستقامة الكلام ، وموافقة المصدر .

(٧) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٤١ بنصه ، وانظر : تفسير الطوسي ٦/ ٣١٦ .

قال أبو إسحاق : «العرب تقول : رُبَّ رجلٍ جاءني ، ويخففون فيقولون : رُبَ رَجُلٍ ، وأنشد[١] :

أَسُمَيَّ مـا يُـدْرِيكِ أَنْ رُبَ فِتْيَةٍ بَاكَـرْتُ لَذَّتَهُـمْ بِأَدْكَنَ مُـتْرَعِ[٢]

ويُسكِّنون أيضاً في التخفيف فيقولون : رُبْ رَجُلٍ ، وأنشد بيت الهذلي :

أَزُهَيْرُ إِنْ يَشِبِ الْقَذَالُ فَإِنَّنِي[٣] رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ[٤]

والهيضل جماعة متسلِّحة» ، قال : «ويقولون : رُبَّتْ بسكون التاء ، ورَبَّت بفتح الراء ، ومثله : رَبَّ ورُبَمَا ورَبَّتَمَا» ، حكى ذلك قطرب[٥] ، قال أبو علي : «من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو : ثُمَّ ثُمَّت ، ولا ولات[٦] . فأمَّا معنى الآية فهو مارواه أبو موسى أن النبيّ ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لهم : ألستم مسلمين ؟

---

(١) للحادرة أو الحويدرة ؛ واسمه قطبة بن أوس الذبياني (جاهلي) .

(٢) ديوان الحادرة ٥٦ ، وورد في المفضليات ٤٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧١ ، وعلل القراءات :١/ ٢٩٣ ، وشرح اختيارات المفضل ١/ ٢٢٥ ، وورد بلا نسبة في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٠ ، وفيه : (سُخرتهم) بدل (لذتهم) ، المُنصف : (٣/ ١٢٩) وفيه : (ما أدراك) ، وفي الديوان وجميع المصادر ما عدا علل القراءات بدايته برواية : (فَسُمَيَّ) ، وهو تَرْخيم سُمَيَّة . (باكرتُ لذتهم) أسرعت إليهم لأمتعهم ، (الأدكن المترع) الزِّق المليء بالخمر .

(٣) في المصادر جميعها ـما عدا الديوان والزَّجَّاج والطوسي وابن الجوزيـ (فإنه) .

(٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٧٠ ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣١٦ ، وأمالي ابن الشجري ٣/ ٤٨ ، وإيضاح شواهد الإيضاح ١/ ٢٨٧ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٠ ، والخزانة ٩/ ٥٣٧ ، وورد غير منسوب في المحتسب : (ع) ٢/ ٣٤٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٧٩ ، والإنصاف ٢٤٧ ، وشرح المفصل ٨/ ٣١ ، والممتع في التصريف ٢/ ٦٢٧ ، والمقرب ٨/ ٢٠٠ ، ورصف المباني ١٤١ ، ٢٧٠ ، والخزانة ٩/ ٥٣٥ ، وفي الديوان وجميع المصادر ـما عدا تفسير ابن الجوزي والمقرب والرصف والخزانةـ برواية (لَجب) بدل (مَرِس) ولا يختلف المعنى . (زهير) مرخَّم زهيرة ، وهي ابنته ، (القذال) ما بين الأذن والقفا ، (مَرِس) ذو مَرَاسَة وشدة ، (لَجِب) من قولهم جيشٌ لجب ؛ عرمرم ، ذو جَلَبة وكثرة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧١ بتصرف يسير .

(٦) الحجة للقراء ٥/ ٤١ بنصه .

قالوا : بلى ، قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار ؟ فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية»[١] ، وعلى هذا أكثر المفسرين ؛ أبو العالية ومجاهد والسدي ومقاتل وغيرهم ، قالوا : أنزلت في تمني الكفار الإسلام عند خروج من يخرج من النار من أهل الإسلام[٢] ، قال حماد[٣] : «سألت إبراهيم عن هذه الآية فقال : إن الكفار يقولون لأهل التوحيد ما أغنى عنكم لا إله إلا الله ، فيأمر الله الملائكة والنبيين فيشفعون لهم ، فيخرجهم

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٠٥ بنحوه ، والطبري في تفسيره ١٤/ ٢ بنحوه ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٢ بنحوه ، وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في البعث ٩١ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢/ ٦٠٠ ، ٦٠١ وعزاه إلى الطبراني لم أقف عليه وابن أبي حاتم ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٤٥ ، قال وفيه خالد بن نافع الأشعري ، قال عنه أبو داود : متروك ، وبقية رجاله ثقات ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ١٧٢ وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، وورد دون سند في تفسير البغوي ٤/ ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٤ وهذا الحديث يدور على خالد بن نافع الأشعري ، وهو ضعيف بل قال عنه أبو داود : متروك ، ولم يوافق الذهبي على تركه ، وقال : «هذا تجاوز فلا يستحق الترك» ، وقد حدث عنه أحمد ومسدد ، الميزان ٢/ ١٦٦ ، ومع ذلك فالحديث ضعيف بهذا الإسناد ؛ لضعف خالد الأشعري ، لكن له شواهد عن ابن عباس وأنس ـرضي الله عنهماـ لذلك صحح الألباني الحديث في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٤٠٦ .

(٢) تفسير مجاهد ٣٣٩ مختصراً ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٥ بنحوه عن مجاهد ، والطبري ١٤/ ٣ بمعناه عن مجاهد وأبي العالية ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧ عن مجاهد ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٤ عن مجاهد وأبي العالية ، والطوسي ٦/ ٣١٧ عن مجاهد ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١ عن مجاهد وأبي العالية ، وابن كثير ٢/ ٦٠٠ ، ٦٠١ عن مجاهد وأبي العالية ، ولم أقف على القول في تفسير مقاتل ولا منسوباً إليه ولا إلى السدي .

(٣) حَمَّاد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، أحد الأعلام ، ثقة عابد ، روى عن قتادة وابن أبي مليكة وثابت ، وروى عنه ابن المبارك ووكيع وابن مهدي ، قال ابن معين : «إذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام» ، مات سنة ١٦٧هـ ، والجرح والتعديل ٣/ ١٤٠ ، والكاشف ١/ ٣٤٩ ، وتقريب التهذيب ١٧٨ رقم (١٤٩٩) .

مـــن النار»[١] ، ونحو هـــذا قال ابن عباس في رواية عطـــاء[٢] ، وروى مجاهد عن ابـــن عباس قال : «ما يزال[٣] الله تعالى يرحم ويدخل الجنّة ويشـــفع حتى يقول : من كان من المســـلمين فليدخل الجنة ، قال فذلـــك حين يقول : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية»[٤] .

وقال الضحـــاك : «إذا احتضر الكافر وعلم أنه صائـــر إلى جهنم ودَّ أنه كان مســـلماً»[٥] ، قال الزَّجَّاج : «والذي أراه -والله أعلم- أن الكافر لما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المســـلم ، ودَّ لو كان مســـلماً»[٦] . فإن قيل (رب) موضوعة للتقليـــل وهي في التقليل نظيرة[٧] (كـــم) في التكثير ، وإذا قال الرجـــل : ربما زارنا فلان ، دلَّ (بربما) على تقليل الزيارة ، وتمني الكافر الإســـلام يكثر ويتصل فلا يشـــاكله ربما . قـــال ابن الأنباري : «هذا الـــكلام معناه من الله التهديد ، والمعنى : أن هذا لو كان مما يتمنى مرة واحدة من الدهر لكانت المسارعة

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٥ بنحـــوه ، والطبري ١٤/ ٢ بنصه وبنحوه بعدة روايات ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١ .

(٢) أخرجـــه ابن المبارك في الزهـــد ٥٥٨ ، والطبري ١٤/ ٥ ، والبيهقي في البعـــث ٨٩ ، كلهم من طريق القاسم بن الفضل ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) في (أ) و(د) : (ما أنزل) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٥ بنصه ، من طريق عطاء بن السائب (صحيحة) ، وأورده الثعلبي ٢/ ١٤٥ب بنصه ، وأخرجه الحاكم في المســـتدرك ٢/ ٣٥١ وصححه ، والبيهقي في البعث والنشـــور ٨٩ بنصه ، وتفســـير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٤ ، والشـــوكاني ٣/ ١٢٤ وزاد نســـبته إلى سعيد بن منصور وهناد السريّ وابن المنذر .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٤ بنحوه ، وتفســـير البغوي ٤/ ٣٦٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢ ، والخازن ٣/ ٨٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٢ بنصه .

(٧) في الجميع : (نظره) ، والمثبت هو الصحيح وبه يستقيم المعنى .

إليه عند الإمكان واجبة ، فكيف والتمني له يتصل ويكثر[١] ، وإنما خوطبت العرب في القرآن بما تعقله ، والرجل يتهدَّدُ صاحبه فيقول له : لعلك ستَنْدَمُ على فعلك ، وهو لا يشك في أنه يندم ، ويقول : ربما تندم على هذا ، وهو يعلم أنه يندم كثيراً ، ولكن مجازه أن هذا لو كان يخاف منه ندم قليل ، لكان تركه واجباً ، فكيف إذا لم يتيقن قلة الندم من جهته ؟ والدليل على أن هذا ورد في التهدد قوله بعده : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ﴾ الآية» ، وهذا كله معنى قول الزَّجَّاج ، قال : «وجائز أن تكون أهوال القيامة تشغلهم عن التَّمَنّي ، فإذا أفاقوا من سكرةٍ من سكراتِ العذاب ودّوا ذلك»[٢] ، وعبَّر بعض أهل المعاني عن هذين الجوابين بعبارة وجيزة ؛ فقال في الجواب الأول : التقليل أبلغ في التهدد ، كما يقول : ربما ندمت على هذا ، وهو يعلم أنه يندم ندماً طويلاً ؛ أي يكفيك قليلُ الندم فكيف كثيرُهُ ، وقال في الجواب الثاني : إنه يشغلهم العذاب عن تمني ذاك إلا في القليل[٣] ، قال أبو إسحاق : «ومن قال إن (رُبَّ) يُعْنَى بها الكثير ، فهو ضد ما يعرفه أهل اللغة»[٤] .

٣. قوله تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ يقول : دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم ، فتلك خلاقهم ، ولا خلاق لهم في الآخرة ، وقال صاحب النظم : «المعنى ذرهم ولا تَدْعُ عليهم فيهلكوا»[٥] ، وإذا تركهم خاضوا ولعبوا وأكلوا وتمتعوا ، وهذا كقوله : ﴿ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ [الزخرف :٨٣] .

---

(١) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٢ ، وورد هذا المعنى في تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٠ ، والبيضاوي ١/ ٢٦٧ ، وابن جزي ٢/ ١٤٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٢ بتصرف .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٣ ، والخازن ٣/ ٨٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ بنصه .

(٥) وهو قول غريب لم أجد أحداً من المفسرين قال به ، ووجه الغرابة أنه ثبت دعاؤه على الكفار في بعض المناسبات .

وقوله تعالى : ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ يقال : لَهِيتُ عن[١] الشيء أَلْهَى لُهِيّاً[٢] ، وجاء في الحديث : «إن ابن الزبير كان إذا سمع صوت الرعد لَهِيَ عن[٣] حديثه»[٤] قال الكسائي والأصمعي : «أي تركه وأعرض عنه» ، وكلُّ شيء تركته فقد لَهِيْتَ عنه[٥] ، وأنشد ابن الأعرابي :

صَرَمَتْ حِبالَكَ فَالْهَ عَنْها زَيْنَبُ وَلَقَدْ أَطَلْتَ عِتَابَها لَوْ تُعْتِبُ[٦]

ويقال : ألهاه الشيء ؛ أي شغله وأنساه وحمله على الترك والإعراض ، قال المفسرون في قوله : ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة[٧] ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ ؛ أي فسوف يعلمون إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا .

---

(١) في النسخ جميعها (من) والمثبت هو الصحيح وموافق لجميع المصادر .

(٢) جمهرة اللغة ٢/ ٩٩١ ، وتهذيب اللغة (لهى) ٤/ ٣٣٠٤ ، والصحاح (لها) ٦/ ٢٤٨٨ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٤ .

(٣) في النسخ جميعها : (من) ، والمثبت هو الصحيح وموافق لجميع المصادر .

(٤) لم أجده في كتب السنة ، وورد في تهذيب اللغة (لهى) ٤/ ٣٣٠٤ بنصه ، والصحاح (لها) ٦/ ٢٤٨٨ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٥ .

(٥) المصادر السابقة .

(٦) ورد غير منسوب في تهذيب اللغة (لهى) ٤/ ٣٣٠٤ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٥ .

(٧) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ٥ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٤٥ب بنصه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٥ ، والخازن ٣/ ٨٨ .

٤. قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من أهل قرية»[١] ، ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ يريد أجل ينتهون إليه ، يعني أن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً قد كتب لهم ، لا نهلكهم حتى يبلغوه ، نزلت هذه الآية حين استعجلوه بالعذاب[٢] ، ألا ترى أن بعد هذه الآية قوله : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا ﴾ الآية .

قال الفرَّاء : «لو لم يكن في (ولها) الواو كان صواباً ؛ كما قال في موضع آخر : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الشعراء :٢٠٨] وهو كما تقول في الكلام : ما رأيت أحداً إلا وعليه ثياب ، وإن شئت : إلا عليه ثياب»[٣] .

قال صاحب النظم : «والفرق بينهما أن دخول الواو يقلب حال ما بعدها إلى الابتداء ، وخروجها منه يدل على أن ما بعدها في موضع حال ، اعتباراً بقولك : ما أهلكنا من قرية إلا ظالماً أهلها ، فيكون نصباً على الحال ، فإذا دخلت الواو قلت : إلا وأهلها ظالمون ، فقلبت الواوُ الحالَ[٤] إلى أن جعلتها مبتدأة ، فانقلبت رفعاً عن النصب» ، وهذا فرق من حيث اللفظ ، والمعنى واحد ، أثبتَّ الواو أو حذفتَها .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٤ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٦ ، وورد بلا نسبة في تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٢ .

(٢) لم يورده المؤلف في كتابه أسباب النزول ، ولم أقف عليه في كتب الفن أو التفاسير .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢٨٣ بنصه .

(٤) ساقطة من (د) .

٥. قوله تعالى : ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ (من) زائدة مؤكدة كقولك : ما جاءني من أحد ، ﴿ أَجَلَهَا ﴾ : ما ضرب لها من الوقت ، قال ابن عباس : «يريد ما تتقدم الوقت الذي وُقّت لها» ، ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ : لا يتأخرون عنه ، وهذا كقوله : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [الأعراف :٣٤] الآية ، وقد مرَّ .

قال صاحب النظم : «معنى سَبَقَ إذا كان واقعاً على شخص ، جاز وخَلَّف ، كقولك : سبق زيدٌ عمراً ؛ أي جازه وخلَّفه وراءه فاستأخر ، معناه قصر عنه ولم يبلغه ، وإذا كان واقعاً على زمان كان بالعكس من هذا ؛ كقولك : سبق فلانٌ الحولَ وعامَ كذا ؛ أي مضى قبل إتيانه ولم يبلغه ، ومعنى : استأخر عنه ؛ أي جازه وخلَّفه وراءه» ، فقوله : ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ ؛ أي لا تقصر عنه فلا تبلغه ؛ بأن تهلك قبل بلوغ الأجل ، ﴿ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ ؛ أي ما يتجاوزونه ويتأخر الأجل عنهم .

وقال الفرَّاء في هذه الآية : «لم يقل : تستأخر ؛ لأن الأمة لفظها مؤنث ، فأخرج أول الكلام على تأنيثها وآخره على معنى الرجال»[١] ، قال الكسائي : «رجع إلى الجماع لأنه رأس آية ، والآيات على النون ، وتقول : انطلقت العشيرة ففعلت ، وفعلوا ، كلٌّ صواب»[٢] .

٦. قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ ؛ أي القرآن ، قال ابن عباس في رواية عطاء : «هذا استهزاء منهم ؛ لو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر ما قالوا : إنك لمجنون»[٣] ، ولكنهم استهزؤوا ،كما قال

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٤ بنصه .

(٢) لم أقف على قوله .

(٣) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٣ ، وورد بمعناه غير منسوب في تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٤ .

قوم شعيب لشعيب : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود :٨٧] . وذكر أبو علي وجهاً آخر هو لأصحاب المعاني فقال : «الذين يقولون للنبيّ ﷺ مجنون لا يقرون بإنزال الذكر عليه ، فهذا على ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ عنده وعند من تبعه ، كما قال تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان :٤٩] ؛ أي عند نفسك ، وكما أخبر عن السحرة : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزخرف :٤٩] ، ومن آمن من السحرة لا يعتقدون فيه أنه ساحر ، وإنما التقدير[١] في ما يذهب إليه فرعون وقومه ، أو في ما يظهرون من ذلك ، وقد قال زهرة اليمن[٢] :

أَبْلِغْ كُلَيْباً وَأَبْلِغْ عَنْكَ شَاعِرَهـا ... أَنِّي الْأَغَـرُّ وَأَنِّي زَهْـرَةُ الْيَمَنِ[٣]

(وأجابه جرير :

أَلَمْ يَكُنْ فِي وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا ... مَنْ حانَ مَوْعِظَةً يا زَهْرَةَ الْيَمنِ)[٤][٥]

---

(١) من قوله : (ادع لنا ربك) حتى هذا الموضع ، ساقط من (أ) و(د) .

(٢) وفي الخصائص أنه لبعض اليمانية ، ولم أقف عليه .

(٣) ورد البيت في المسائل الحلبية ٨٢ ، ١٦١ ، والخصائص ٢/ ٤٦١ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٥ ، وتفسير ابن عطية ١٣/ ٢٨٧ ، وأبي حيان ٨/ ٤٠ ، والدر المصون ٩/ ٦٢٩ ، وبلا نسبة في المسائل العسكرية ٩٤ .

(٤) ديوان جرير ٤٦٧ ، وليس فيه الشاهد لأنه برواية (يا حارث اليمن) ، وورد في المسائل الحلبية ٨٢ ، ١٦٢ ، المسائل العسكرية ٩٤ ، والخصائص ٢/ ٤٦١ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٥ ، وتفسير ابن عطية ١٣/ ٢٨٧ ، وأبي حيان ٨/ ٤٠ ، والدر المصون ٩/ ٦٢٩ ، وفي الأخيرين برواية (كان) بدل (حان) ، (وسوم) جمع وسم ، وهو أثر الكي بالنار ، والمراد الأثر السيء الناتج عن هجائه ، (حان) أي هلك . ومعناه : ألم تكن لك موعظة في الشعر الذي هجوتك به من قبل فكان كالنار التي أكويك بها وأقضي عليك يا من تسمي نفسك زهرة اليمن ، والشاهد : قوله : (يا زهرة اليمن) أي يا من سمى نفسه زهرة اليمن ، ولست عندي كذلك .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

يعني : عند نفسك ، لا أنه سَلَّم[١] له هذه التسمية» .

وقولـه تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ يقال : جُنَّ فلان فهو مجنون ، وقد أجَنَّه الله ، وبه جنون وجِنَّة ومَجَنَّة ، وأصله من الستر ، ومنه قيل للنبت الملتف مجنون ؛ لأن بعضَه يستر بعضاً[٢] ، وهذا الحرف مذكور في ما سبق .

٧. وقوله تعالى : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ قال الفرَّاء والزَّجَّاج : «(لولا) و (لوما) لغتان معناهما : هلا»[٣] ، وذكرنا الكلام في (لولا) قبل هذا ، و(لوما) لغة فيه ، ويستعملان في الخبر والاستفهام ، فالخبرُ مِثلُ قولِك : لولا أنت لفعلت كذا ، ومنه قوله : ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ :٣١] والاستفهام كقوله : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ [الأنعام :٨] وكهذه الآية ، هذا قول الفرَّاء ، قال : «(ولوما) الميم فيه بدل من اللام في (لولا) ، ومثله : استولى على الشيء ، واستومى عليه»[٤] ، ومثله ماحكاه الأصمعي من قولهم : خالَمْته وخالَلْتُه ، إذا صادقته ، وهو خِلِّي وخِلْمي[٥] ، وقال عبيد :

لَـوْمَـا عَـلَى حُجـْرِ ابْـنِ أُمِّ ... قَطَـامِ تَبْكِـي لا عَلَيْنـا[٦]

---

(١) في النسخ جميعها : (سلمه) وقد أدى إلى اضطراب المعنى ، والمثبت هو الصحيح ، ولعله من تصحيف النساخ .

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٩٢ ، و(جنن) في المحيط في اللغة ٦/ ٤٠٩ ، والصحاح ٥/ ٢٠٩٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٤ بنحوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ بمعناه ، وانظر : معاني الحروف للرماني ١٢٤ .

(٤) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (ولي) ٤/ ٣٩٥٨ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٩ ، واللسان (ولي) ٨/ ٤٩٢٤ ، والدر المصون ٧/ ١٤٤ .

(٦) ورد في الشعر والشعراء ١٦٦ ، والأغاني ٢٢/ ٨٨ برواية ليس فيها الشاهد ، وهي :
هـلَّا على حُجـرِ ابـن أُ ... م قَطَـامِ تبكـي لا علينـا
وورد بهذه الرواية البيت في تهذيب اللغة (ولي) ٤/ ٣٩٥٨ ، واللسان (ولي) ٨/ ٤٩٢٤ .

وهذا في الاستفهام ، وقال ابن مقبل في الخبر :

لَوْمَا الْحَياءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ ما فيكُمَا إِذْ عِبْتُما عَوَرِي[1]

قال ابن عباس : «يريد لولا[2] جئتنا بالملائكة حتى نصدقك»[3] .

٨. قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ هذا جواب لقولهم : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ يقول الله تعالى : ما ننزل الملائكة إلا بالعذاب ، قاله ابن عباس[4] ، وقال أبو إسحاق : «أي إنما[5] تنزل بآجال أو بوحي من الله»[6] ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الآية [الأنعام :٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد إذا نزلت الملائكة لم يناظروا ؛ أي لم يمهلوا»[7] ، ونحوه قال الزَّجَّاج : «أي لو نزلت الملائكة

---

(١) ديوانه ٧٦ وفيه : (لولا) بدل (لوما) في المرتين ، وليس في رواية الديوان الشاهد ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٦ ، وتفسير الطبري ١٤/ ٦ ، والثعلبي ٢/ ١٤٥ب ، والطوسي ٦/ ٣١٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١٠ ، وابن عطية ٨/ ٢٨٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ٤ ، واللسان (بعض) ١/ ٣١٣ ، وفي النسخ جميعها (فوري) بدل (عوري) ولم يظهر لي المعنى به ، ولعلها تصحفت ، خاصة أنه في الديوان وجميع المصادر (عوري) .

(٢) (يريد لولا) ساقط من (أ) و(د) .

(٣) تنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وورد غير منسوب بمعناه في تفسير الطبري ١٤/ ٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٤ بمعناه ، وتنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والخازن ٣/ ٨٩ .

(٥) في النسخ جميعها : (ما إن) ، والتصويب من المصدر .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ نصه .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٥ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وغير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، والماوردي ٣/ ١٤٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١١ ، وابن عطية ٨/ ٢٨٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤ ، والخازن ٣/ ٨٩ .

لم ينظـــروا ، وانقطعت التوبات»[١] ، يريد أن التكليف يزول ويســـقط عند عَيان الغيب .

وقال صاحب النظـــم : «أي إذا نزل الملك وجب العذاب من غير تأخير ولا انتظار إذا لم يؤمنوا ، وذلك أن تأويل (إذا) من كلمتين من (إذ) وهو اســـم بمنزلة حـــين ، ألا ترى أنك تقـــول : أتيتك إذ جئتني ، ثم ضم إليهـــا (أن) بضم إذ أن ، إلا أنهم اســـتثقلوا الهمزة فحذفوها ، ومجيء (أن) دليل على إضمار فعل بعده على تأويل : وما كانـــوا إذ أن كان ما طلبوا»[٢] ، وذكرنا الـــكلام في (إذاً) عند قوله : ﴿ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ ﴾[٣] [النساء :٥٣] .

٩. قولـــه تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ﴾ قـــال ابن عباس : «يريد نفســـه تبارك وتعالى» .

قال أهل اللغة : هذا من كلام الملوك ؛ الواحد منهم إذا فعل شيئاً قال : نحن فعلنا ، يريد نفســـه وأتباعه ، ثم صار هذا عادة للملـــوك في الخطاب ، وإن انفرد بفعل الشيء قال : نحن فعلنا ، فخوطبت العرب بما تفعل من كلامها[٤] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ بنصه .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٩ ، وصديق خان ٧/ ١٤٨ .

(٣) انظر : البسيط ، [النساء :٥٣] . ومن آية [٤٢] إلى آية [٥٣] ساقط من النسخ ، والكلام عن (إذاً) من الجزء الساقط .

(٤) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٤ .

وقوله تعالى : ﴿ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن في قول عامة المفسرين[١] ، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ قال قتادة : «أنزله الله وحفظه من أن يزيد الشيطان فيه باطلاً أو يسقط منه حقًّا»[٢] .

ونحو هذا قال أبو إسحاق : «أن يحفظ من أن يقع فيه زيادة أونقصان» ، كما قال عزوجل : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾[٣] [فصلت :٤٢] .

فإن قيل : لم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في الصحف ، وقد وعد الله حفظه ، وما حفظه الله[٤] فلا خوف عليه ؟

الجواب أن يقال : جَمْعُهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله إياه ، ولما أراد حفظه قيضهم لذلك ، وقال ابن الأنباري : «إنهم أرادوا تسهيل القرآن على الناس وتقريب مطلبه بالذي فعلوه ، لكي يَسْهُلَ تناولُه على من أراد حفظه وقراءته إذا رآه مجموعاً في صحيفة ، ولو لم يفعلوا ما كان يضيع إذ[٥] ضمِن الله حفظه» .

قال أصحابنا : هذه الآية دلالة قوية على كون التسمية آية من كل سورة[٦] ؛ لأن الله تعالى قد وعد حفظ القرآن ، وحقيقة حفظه أن يحفظه من الزيادة والنقصان

---

(١) ورد بنصه في تفسير الطبري ١٤/ ٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، والماوردي ٣/ ١٤٩ ، وتفسير البغوي ٣/ ٤٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٤ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٥ بنصه ، والطبري ١٤/ ٨ بنصه ، وورد بنصه تقريباً في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، والطوسي ٦/ ٣٢٠ ، والماوردي ٣/ ١٤٩ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٤ بنصه .

(٤) (وما حفظه الله) ساقط من (أ) و(د) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٥) في (أ) و(د) : (إن) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٦) بين العلماء في مسألة البسملة اتفاق واختلاف ؛ اتفقوا جميعاً على أنها جزء من آية سورة النمل ، واختلفوا هل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ على ثلاثة أقوال ؛ طرفان ووسط : فذهب الحنفية إلى أنها آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور ، وليست من الفاتحة ، وذهب المالكية إلى أنها =

على ما بَيَّنا ، فمن لم يجعل التسمية من القرآن لم يجعل القرآن محفوظاً عن الزيادة ، ولو جاز أن يُظنَّ بالصحابة أنهم زادوا التسمية جاز أن يظن بهم النقصان أيضاً ، وهذا يؤدي إلى الإلحاد ، وحكى الفرَّاء جواز رجوع الكناية في (له) إلى محمد ﷺ المعنى : وإنا لمحمد حافظون[١] .

قال ابن الأنباري : «ولمَّا ذَكر الإنزالَ والمُنزَلَ دلَّ ذلك على المُنزَلِ عليه ، فكنَّى عنه كما كنَّى عن القرآن في قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر :١] من غير أن يتقدم ذكرُه لمثل هذه العلة» ، وقال : «والقول الأول هو أوضح القولين ، وأحسنها مشابهة لظاهر التنزيل ، والله أعلم» .

١٠. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ أي رسلاً ، فحُذف لدلالة الإرسال عليه ، ﴿ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد في الأمم الأولين»[٢] ، ونحوه قال قتادة[٣] في تفسير الشيع ، وقال الحسن

= ليست آية لا من الفاتحة ولا من بداية السور ، وذهب الشافعية إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، وهو ما أشار إليه الواحدي رحمه الله ، واختلفت الرواية عن أحمد ؛ فرويت عنه الأقوال الثلاثة كما في المغني ٢/ ١٥١ ، ١٥٢ ، وما ذكره الحنفية أرجح وتجتمع عنده الأدلة . انظر : تفصيل المسألة مع أدلة كل فريق في تفسير الجصاص ١/ ٨ ، وابن العربي ١/ ٢ ، والفخر الرازي ١/ ١٩٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ٩٣ ، والألوسي ١/ ٣٩ ، تفسير آيات الأحكام للصابوني ١/ ٤٧ .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٥ بنصه ، وانظر : تفسير الطبري ١٤/ ٧ ، والسمرقندي ٢/ ٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٨ بلفظه ، من طريق علي بن أبي طلحة أصح الطرق ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥ب بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٢٠ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد بلا نسبة في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٢ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٨ بلفظه ، وورد في الثعلبي ٢/ ١٤٥ب بلفظه ، والطوسي ٦/ ٣٢٠ بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٢ .

والكلبي : «فرق»[١] ، واختاره الزَّجَّاج[٢] ، قال الفرَّاء : «الشيع التُّبَّاع ، واحدهم شيعة ، وشيعة الرجل أتباعه ، والشيعة الأمة التابعة بعضهم بعضاً في ما يجتمعون عليه من أمر»[٣] ، وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام :٦٥] . قال الفرَّاء : «وقوله : ﴿ شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إضافة الشيء إلى نفسه كقوله : ﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[٤] [الواقعة :٩٥]» .

١١. قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ قال ابن عباس : «يُعَزِّي نبيه ﷺ ويُصَبِّره»[٥] ، يريد كما استهزأ بك قومك بعد طول إكرامهم لك ، قال أهل المعاني : وإنما حمل الأمم على الاستهزاء استبعاد ما دُعوا إليه ، والاستيحاش منه والاستنكار له ، حتى توهموا أنه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لِما كان عليه الأسلاف[٦] ؛ وذلك أنهم تعجلوا الراحة بإسقاط النظرِ عن أنفسهم ، والتفكرِ في ما أورده الرسول من المعجزات ليدلهم على الحق ، وفي هذه الآية دليل على أن كلَّ واحدٍ من الرسل كان مبتلى بطائفة من المشركين ، وماخلصت لرسولٍ دعوةً من الاستهزاء والتكبر .

---

(١) ورد منسوباً إلى الحسن فقط في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥ب بلفظه ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦ ، ونسب إلى الحسن والكلبي في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٥ ، والألوسي ١٤/ ١٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٤ بلفظه .

(٣) لم أجده في معانيه ، وورد بنحوه منسوباً إلى الفرَّاء في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٥ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٢ ، والخازن ٣/ ٩٠ ، والشوكاني ٣/ ١٧٥ ، وصديق خان ٧/ ١٥٠ ، وتهذيب اللغة (شاع) ٢/ ١٨٠٧ ، و(شيع) في المحكم ٢/ ١٥٤ ، والمصباح ١/ ٣٩٠ .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٢ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٧ ، والثعالبي ٢/ ٢٠٨ .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥ب بلفظه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧ .

(٦) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٢١ بنصه تقريباً .

١٢. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، السَّلْكُ إدخال الشيء في الشيء، كإدخال الخيط في المخيط، والرمح في المطعون[١].

وقال الليث: «الله يَسْلُكُ الكفارَ في جهنم؛ أي يدخلهم فيها»[٢]، ومن هذا قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر: ٤٢] وكل شيء أدخلته في شيء فقد سَلَكْتَه فيه، قال عديّ:

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ[٣]

وذكر أبو عبيدة وأبوعبيد: سلَكْتُه وأسلكتُه بمعنى[٤]، وينشد بيت الهذلي:

حَتَّى إِذا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدِهِمْ ... شَلًّا كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[٥]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (سلك) ٢/ ١٧٣٨، والصحاح ٤/ ١٥٩١، واللسان ٤/ ٢٠٧٣.
وانظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٣١١، والرازي ١٩/ ١٦٢، والقرطبي ١٠/ ٧، والبيضاوي ١/ ٢٦٧، والخازن ٣/ ٩٠، والدر المصون ٧/ ١٤٨.

(٢) ورد في تهذيب اللغة (سلك) ٢/ ١٧٣٩ بنصه.

(٣) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ٩، والأغاني ٢/ ١٠٣، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ، والطوسي ٦/ ٣٢١، وابن عطية ٧/ ٣٥٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧ (عجز)، واللسان (سلك) ١٠/ ٤٤٢، وغير منسوب في الدر المصون ٧/ ١٤٨. (اللِّزاز) ما يُتَرَّس به الباب، (العَرْدُ) الشديد من كل شيء الصُّلْبُ المنتصب، وعرَّد الرجل تعريداً أي فرَّ، والمعنى: أي كنت إلى جانبك ـ يخاطب النعمان ـ أمنع عنك حتى في الأوقات العصيبة، ولم أحجم ولم أتراجع.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٤٧، بنحوه، وورد في تهذيب اللغة (سلك) ٢/ ١٧٣٩ بنصه عن أبي عبيد، وانظر: جمهرة اللغة ٢/ ٨٥٤.

(٥) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦٧٥، ومجاز القرآن ١/ ٣٧، وجمهرة اللغة ٢/ ٨٥٤، والصحاح (سلك) ٤/ ١٥٩١، والاقتضاب ٤٠٢، وأمالي ابن الشجري ٣/ ٣٠، والإنصاف ٣٦٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١٩، واللسان (قتد) ٦/ ٣٥٢٥، و(سلك) ٤/ ٢٠٧٣، والخزانة ٧/ ٣٩، وورد منسوباً إلى ابن أحمر في تهذيب اللغة (سلك) ٢/ ١٧٣٩، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ٩، وجمهرة اللغة ١/ ٣٩١، ٤٩١، والمخصص ١٦/ ١٠١، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٢، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٢٢، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٨٧، والدر المصون ٧/ ١٤٨، ومعجم البلدان ٤/ ٣١٠. =

بالوجهين ، وقد حقق ابن عباس هذا التفسير فقال : «يريد يسلكُ الشركَ في قلوب المكذبين ، كما يسلك الخرزة في الخيط» .

وقال أبو إسحاق : «أي كما فُعِلَ بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدَّم مِنَ الرُّسُلِ ، كذلك نَسلُكُ الضلالَ في قلوب المجرمين»[١] .

واختلفوا في المُكنَّى في قوله : ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ ؛ فذكر ابن عباس : «الشرك»[٢] ، وهو قول الحسن[٣] ، وذكر الزَّجَّاج : «الضلال»[٤] . وقال الربيع : «يعني [الاستهزاء»[٥] . وقال الفرَّاء : «يعني التكذيب بالعذاب»[٦] .

قال صاحب النظم : «الهاء كناية عن الاستهزاء][٧] ودلَّ عليه الفعل ؛ كقولهم : من كذب كان شراً له ، والفعل يدل على المصدر ؛ كقوله : ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر :٧] ؛ أي الشكر ، فأضمره لدلالة الفعل عليه» ، وذكرنا مثل

= وفي الديوان وجميع المصادر برواية (قُتائدَة) وهي ثنية مشهورة ، (شَلَّا) معناه الطرد ، (الجَّالة) أصحاب الجمال ، (الشُّرُدَا) جمع شارد ، وهي الإبل النافرة ، قال ابن السيد : «إنه وصَف قوماً هُزِمُوا حتى أُلجئوا إلى الدخول في قتائد ؛ وهي ثنية ضيقة» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٤ بنصه .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، وصديق خان ٧/ ١٥١ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٥ بلفظه ، والطبري ١٤/ ٩ بلفظه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧ وابن كثير ٢/ ٦٠٢ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وصديق خان ٧/ ١٥١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٤ بلفظه .

(٥) لم أقف عليه منسوباً له ، ونُسب إلى قتادة في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن عطية ٨/ ٢٨٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٣ ، وتفسير القرطبي ٧/ ١٠ ، والدر المصون ٧/ ١٤٧ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٥ بلفظه .

(٧) ما بين المعقوفين من (ش) و(ع) .

هذا كثيراً ، وأما ما ذكر المفسرون من الشرك والتكذيب والضلال فكلُّه داخل في الاستهزاء ، وهو من معاني الاستهزاء .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ إيماء بهذا التشبيه إلى ما كان منهم من الكفر والاستهزاء ، قال : وهذه أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند .

وقال أصحابنا : أضاف الله تعالى إلى نفسه سَلْكَ الكفر في قلوب الكفار ، وحَسُن ذلك منه ، فمن آمن بالقرآن فليستحسنه[1] ، وأراد بالمجرمين المشركين الذين كانوا يستهزئون بالنبيِّ ﷺ .

---

(١) يَرُدُّ الواحدي ـ رحمه الله ـ بقوله هذا على المعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين ، وهي من المسائل المشهورة التي اشتد فيها النزاع بين المعتزلة والأشاعرة ، وقد وقع الفريقان في طرفي النقيض وجانبا الصواب في المسألة ، على النحو الآتي : ذهب المعتزلة إلى أن العقل قد يُعلم به حُسنُ كثير من الأفعال وقُبحُها ، ومقتضى ذلك أن يكون فاعل القبيح أو تارك الحسن آثم ومعاقب في الآخرة ولو لم يرد شرع بذلك ، فيستحق العذاب لمجرد مخالفته العقل . انظر : المحصول في علم أصول الفقه ١/ ١٦٠ ، ومجموع الفتاوى ١١/ ٦٧٧ ، والمواقف في علم الكلام ٣٢٣ـ٣٢٦ .

وذهب الأشاعرة إلى النقيض ؛ فقالوا : إن العقل لا يُعلم به حُسن الفعل ولا قبحه ؛ ولذا فلا يثبت عندهم حسن ولا قبح قبل ورود الشرع ، وعليه فالقبيح ما قيل : لا تفعل ، والحسن ما قيل فيه : افعل ، أو ما أذن في فعله .

الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠١ ، ومجموع الفتاوى ١١/ ٦٧٧ ، والمواقف في علم الكلام ٣٢٧ .

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية منشأ الغلط عند الفريقين ، فقال : «إن الطائفتين اتفقوا على أن الحسن والقبح باعتبار الملاءمة والمنافرة قد يعلم بالعقل ، وهذا الذي اتفقوا عليه حق ، لكن توهموا بعد هذا أن الحُسن والقبح الشرعيَّ خارج عن ذلك ، وليس الأمر كذلك ، بل هو في الحقيقة يعود إلى ذلك ، لكنَّ الشارع عرَّف بالموجود ، وأثبت المفقود ، فتحسينه : إمَّا كشفٌ وبيان ، وإمَّا إثبات لأمور في الأفعال والأعيان» .

انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٢٢ ، ومجموع الفتاوى ٨/ ٩٠ .

أما المذهب الحق في هذه المسألة فقد بينه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال : «وعامة السلف وأكثر المسلمين على أن الظلم والشرك والكذب والفواحش ونحوها سيئ وقبيح قبل مجيء الرسول ، لكن العقوبة لا تستحق إلا بمجيء الرسول ، وعليه يدل الكتاب والسنة ؛ فإن فيهما بيان أن ما عليه الكفار هو شرٌ وقبيح ، وسيئ قبل الرسل ، وإن كانوا لا يستحقون العقوبة إلا بالرسول» . انظر : مجموع =

١٣. قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ هذا عند الزَّجَّاج ابتداء كلام؛ كأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون[١].

وقال الجرجاني: «قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ رفع موضعه نصب على تأويل أن لا يؤمنوا به، و(أن) الخفيفة تضمر، فإذا أضمرت لم تعمل؛ كقوله تعالى: ﴿ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ ﴾ [الزمر: ٦٤]»، فعلى هذا قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ تفسير للكناية في قوله: ﴿ نَسْلُكُهُۥ ﴾؛ كأنه قيل: نسلك في قلوب المجرمين ألا يؤمنوا به، فلما كفَّ ذِكْرُ (أن) عاد الفعل إلى الرفع، وهذا معنى قول الفرَّاء؛ لأنه قال: «يجعل في قلوبهم ألا يؤمنوا»[٢]، والكناية في (به) تعود إلى الذكر؛ الذي هو القرآن في قول ابن عباس[٣]، وفي قول غيره يجوز أن تعود إلى الرسول[٤]، ونظير هاتين الآيتين في المعنى واللفظ قوله في الشعراء: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، المفسرون على أن هذا تهديد لكفار مكة[٥]؛ يقول: قد مضت سنة الله بإهلاك من كذَّبَ الرسولَ في القرون الماضية.

= الفتاوى ٨/ ٩٠، ١١/ ٦٧٧، أصول الدين للبغدادي ٢٠٥. وفي هذه الآية ينفي المعتزلة سلكَ الله الكفرَ في قلوب الكافرين، بناءً على أصلهم هذا. انظر: كلام القاضي عبدالجبار على الآية في تفسيره متشابه القرآن ٤٢٥.

(١) ليس في معانيه.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٥ بنصه.

(٣) تنوير المقباس ٢٧٦ ونُسب إليه القولان؛ هذا والذي بعده، وورد غير منسوب في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٠، والبغوي ٤/ ٣٧٠ وابن عطية ٨/ ٢٨٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥، والخازن ٣/ ٩٠، والدر المنثور، والثعالبي ٢/ ٢٠٨.

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥، والخازن ٣/ ٩٠، والدر المصون ٧/ ١٤٧.

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ، بمعناه، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠، والزمخشري ٢/ ٣١١، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٥، والخازن ٣/ ٩٠.

وقال أبو إسحاق : «أي قد مضت سُنّةُ الأولين بمثل ما فعله هؤلاء ، فهم يقتفون آثارهم في الكفر»[١] ، وهذا أليق بظاهر اللفظ[٢] .

١٤. قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ ﴾ يقال : ظل فلان نهاره يفعل كذا ، إذا فعله بالنهار ، ولا تقول العرب : ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار ، كما لا يقولون : بات [يبيت ، إلا بالليل ، والمصدر][٣] الظلول ، فأما حذف إحدى اللامين فإنه جائز ، وسنذكر اللغة فيه عند قوله : ﴿ ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [طه :٩٧] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يقال : عَرج يَعْرُج عُرُوجاً ، ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها ، وفي هذه الآية قولان للمفسرين ؛ أحدهما : أن قوله : ﴿ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ من صفة المشركين .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «فطفقوا فيه يصعدون ، يريد ينظرون فيه إلى ملكوت الله وقدرته وسلطانه ، وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون»[٤] ، وهذا أيضاً قول الحسن ؛ قال : «هذا العروج راجع إلى بني آدم ؛ يعني فظل هؤلاء الكافرون فيه يعرجون»[٥] .

وشرح أبو بكر هذا القول فقال : «معناه لو وَصَّلنا هؤلاء المعاندين للحق إلى صعود السماء الذي يزول معه كل شبهة لم يستشعروا إلا الكفر ، وجحدوا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٥ .

(٢) والقولان متلازمان ، فما ذكره الزَّجَّاج هو السبب ، وماذهب إليه المفسرون هو العاقبة والمآل .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (أ) و(د) ، وفي هامش نسخة (د) كتب [سقطت من النسخة القديمة] ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٧ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ بنحوه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٢٣ بنحوه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠، ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨ ، والخازن ٣/ ٩٠ .

البراهين كما سائر المعجزات ؛ من انشقاق القمرِ ، وما خُص به النبيّ ﷺ من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والأنس أن يأتوا بمثله» .

القول الثاني : أن هذا العروج للملائكة ؛ لأنه هو المعروف المشهور ، يقول : لو كُشف لهؤلاء عن أبصارهم حتى يعاينوا أبواباً في السماء مفتحة تصعد منها الملائكة وتنزل ، لصَرَفوا ذلك عن وجهه إلى أنهم سُحروا ورأوا بأبصارهم ما لا يتحقق عندهم ، وهذا قول ابن عباس[1] وابن جريج وجماعة .

قال ابن جريج : «فظلت الملائكة تعرج فيه وهم ينظرون إليهم»[2] .

قال : وهذا راجع إلى قوله : ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

واختار الفرَّاء هذا القول[3] ، وأبو إسحاق ذكر القولين جميعاً ؛ فقال : «اعلم أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا : سِحْر ، وقالوا : ﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ كما قالوا حين انشق القمر : هذا سِحْرٌ مُستمر» ، قال : «ويصلح أن يكون ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ للملائكة والناس» ، وقد جاء بهما التفسير ، وقال في قوله : ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ : «أي

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٦ مختصراً عن ابن عباس من طريق قتادة ، والطبري ١٤/ ١٠ بنحوه ، عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن الضحاك ، وأخرجه مختصراً عن ابن عباس من طريق قتادة .
وورد مختصراً في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣ عن ابن عباس ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٣ عن ابن عباس وقتادة والضحاك ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٦ عن ابن عباس والضحاك ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨ عن ابن عباس وقتادة ، والخازن ٣/ ٩٠ عن ابن عباس والضحاك .
وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠ بنحوه عن ابن جريج عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن جريج عن ابن عباس ، وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٦ .

يصعـــدون فيذهبون ويجيئون»[١] ، وقال الفرَّاء : «فظلت الملائكة تصعد من ذلك الباب وتنزل»[٢] ، فقد زاد المجيء والنزول في تفسير العروج .

١٥. قولـــه تعـــالى : ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا ﴾ قـــرئ بالتشـــديد[٣] والتخفيف[٤] ، أي أُغشيت وسُـــدَّت بالسِّحرِ ، فنتخايل بأبصارنا غير ما نرى ، هذا قول أهل اللغة[٥] ، قالوا : وأصله من السَّـــكْر ؛ وهو سَدُّ البَثْق لئلا ينفجر الماء[٦] ؛ فكأن هذه الأبصار مُنعت من النظر ،كما يمنع السَّكْرُ الماءَ من الجري ، والتشديد يوجب زيادة وتكثيراً .

وقال أبو عمرو بن العلاء : «هو مأخوذٌ من سُكْرِ الشرابِ ؛ يعني أن الأبصار حارت ووقع بها من فســـاد النظر مثل ما يقع بالرجل الســـكران من تغير العقل وفساد اللب»[٧] ، فإذا كان هذا معنى التخفيف ، فسكران بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٤ مع تقديم وتأخير .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٦ بنصه .

(٣) قرأ بها القُراء الســـبعة ما عدا ابـــن كثير . انظر : الســـبعة ٣٦٦ ، وإعراب القراءات الســـبع وعللها ١/ ٣٤٣ ، وعلل القراءات ١/ ٢٩٥ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٠ .

(٤) قرأ بها ابن كثير وحده . المصادر السابقة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩ بنصه .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (ســـكر) ٢/ ١٧١٩ بنصه ونســـبه لليث ، والمحيط في اللغة ٦/ ١٨٤ ، واللسان ٤/ ٢٠٤٧ ، والتاج ٦/ ٥٣٥ .

(٧) ورد في تفســـير الطبري ١٤/ ١٢ مختصراً ، وورد بنحوه في معاني القـــرآن للنحاس ٤/ ١٤ ، وتهذيب اللغة (ســـكر) ٢/ ١٧١٩ ، وتفســـير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٧ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ٩ ، واللسان (سكر) ٤/ ٣٧٤ .

وقال أبو عبيدة : «﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ : غُشيت سَمَادِيرُ[١] فذهبت وخبا نظرها» ، وأنشد[٢] :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَاجْثَأَلَّ القُبَّرُ وَجَعَلَتْ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكَرُ[٣]

أي يخبو حرها ويذهب[٤] .

وعلى هذا القول أصله من السكون ؛ يقال : سَكَرَتِ الرّيحُ ، إذا سكنت ، وسَكَرَ الحرُّ يسْكُرُ ، وليلةٌ ساكِرَةٌ ؛ لا ريحَ فيها[٥] ، قال أوس :

خُذِلْتُ عَلى لَيْلَةٍ سَاهِرَهْ فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلا سَاكِرَهْ[٦]

---

(١) السَّماديرُ : ضعفُ البصر وغشاوة العين ، ويقال : هو الشيء الذي يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السُّكر من الشراب وغيره .
انظر : باب الرباعي (سمدد) في تهذيب اللغة ٢/ ١٧٥١ ، والمحيط في اللغة ٨/ ٤٢٩ .

(٢) للمثنى بن جندل الطُّهوي . عاش في العصر الأموي ، وأخباره في سمط اللآلئ ٦٤٤ .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٥ ، وتهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩ ، واللسان (سكر) ٤/ ٢٠٤٨ ، و(قبر) ٦/ ٣٥١٠ ، وورد في بعض المصادر على النحو التالي :
جاء الشتاء واجْثَأَلَّ القُنْبُرُ واستَخْفَتِ الأَفْعَى وكانت تظهرُ
وطلعَتْ شمسٌ عليها مِغْفَرُ وجعلت عينُ الحرورِ تسكرُ
وقد ورد بهذه الرواية في مجاز القرآن :١/ ٣٤٨ ، وتفسير الطوسي ١٤/ ١٣ ، والطبري ٧/ ٤٩٩ ولم يذكر الشطر الثالث ، والماوردي ٣/ ١٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨ أوردا البيت الثاني فقط .
(اجثأل) اجتمع وتقبَّض ، (قبَّر) قال الأزهري : يقال للقُنبرة قُبُّرة وقُبَّرٌ ؛ وهو طائر يشبه الحُمَّرة ، وجمعها قنابر ، (الحَرُوْرُ) حرُّ الشمس . انظر : تهذيب اللغة (قبر) ٣/ ٢٨٧١ ، و(سكر) ٢/ ١٧١٩ ، والمحيط في اللغة (حر) ٢/ ٣١١ ، و(قبر) ٥/ ٤١١ ، ومتن اللغة ٤/ ٤٨١ .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٤٧ بنصه ما عدا الشعر .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩ بنصه ، واللسان ٤/ ٢٠٤٨ ، والتاج ٦/ ٥٣٥ .

(٦) ديوان أوس ٣٤ ، وقد ورد بالرواية التالية :
خُذِلْتُ على ليلةٍ ساهِرَه بصحراء شَرْجٍ إلى ناظِرَهْ
تُزَادُ لَيَالِيَّ في طُولِهَا فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ ولا ساكِرَهْ
ورد في تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٥١ بدايته (فصرن) ، والاقتضاب =

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ قال : «يقال سَكَرَتْ عينُهُ تَسكُرُ ، إذا تَحَيَّرَتْ وسكنتْ عن النَّظر»[١] ، وعلى هذا معنى (سُكِّرَتْ أبصارُنا) : سكنت عن النظر ، ولا يتوجه على هذا القول قراءة من قرأ بالتخفيف .

قال أبوعلي الفارسي : «معنى ﴿ سُكِّرَتْ ﴾ صارت بحيث لا ينفذ نورها ولا تُدرِك الأشياءَ على حقيقتها» ، وكأن معنى التسكير قطع الشيء عن سننه[٢] الجاري ، فمن ذلك تسكير الماء ؛ هو ردُّهُ عن سيبه[٣] في الجِرْيَة ، والسُّكْرُ في الشراب هو : أن يَنْقطع عما كان عليه من المَضاء في حال الصحو ، فلا ينفذ رأيُه على حدِّ نفاذه في صحوه ، وعَبَّروا عن هذا المعنى بقولهم : سَكْرَانُ لا يَبُتُّ[٤] ، ووجه التثقيل أن الفعل مسند إلى جماعة ، وهو مثل : ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص :٥٠] ، ووجه التخفيف أن هذا النحو من الفعل المسند إلى الجماعة قد يُخَفّف ،كقوله :

ما زِلْتُ أُغْلِقُ أَبْواباً وَأَفْتَحُها[٥]

= ٤١٢ ، وشرح الجواليقي ٢٣٩ ورد فيها برواية الديوان ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨ بدايته (فصرت) ، واللسان (سكر) ٤/ ٢٠٤٨ . يقول : «خذلت على أن ليلتي ساهرة ؛ أي ساهر صاحبها ؛ كما تقول نهاره صائم ؛ أي يصوم فيه ، والطلق اليوم الطيب الذي لا حرَّ فيه ولا برد ، واستطال الليلة لما لقي فيها من الألم والشدة ، وذلك أن أوس بن حجر انطلق مسافراً حتى إذا كان بأرض بني أسد بين مكانين يقال لأحدهما شرج ، وللآخر ناظره ، جالت به ناقته فصرعته فانكسرت فخده» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٥ بنحوه ، ويبدو أنه نقل قول الزَّجَّاج من تهذيب اللغة لتطابقه ، تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٧ .

(٢) في الحجة : (سببه) والصحيح سننه ، ولعلها تصحيف من محقق الحجة .

(٣) في النسخ جميعها : (سننه) ، والمثبت هو الصحيح وموافق لما في الحجة ، والسِّيبُ : مخرج الماء من الوادي ، وجمعه سُيُوبٌ ، وقد ساب الماء يسيب : إذا جَرَى . تهذيب اللغة (ساب) ٢/ ١٥٨٤ ، والمحيط في اللغة (سيب) ٨/ ٣٩٧ .

(٤) معناه : لا يقطع أمراً ، وقيل : ما يُبَيِّن كلاماً . انظر : تهذيب اللغة (بت) ١/ ٢٦٩ ، والمحيط في اللغة ٩/ ٤١٥ .

(٥) نُسب إلى الفرزدق في المصادر كلها ما عدا الحجة وليس في ديوانه ، ونسب في الحجة ٣/ ٤٤١ للراعي =

وهذا على أن ﴿ سُكِّرَتْ ﴾ بالتخفيف قد ثبت تعدِّيه بهذه القراءة[١] ، ويجوز أن يكون من قرأ بالتخفيف أراد التثقيل ، فحذفه وهو يريده ؛ كما جاء ذلك في المصادر وأسماء الفاعلين ؛ نحو : عَمْرَكَ الله[٢] ، و :

. . . . . دَلْوُ الدَّالِيَ[٣]

= النميري ، وهو في ديوانه ٣٣ برواية :

ما زال يفتح أبواباً ويغلقها دوني وأفتح باباً بعد إرتاج

(بعد إرتاج) : بعد إغلاق ، يقال : أَرْتَجْتُ البابَ إرتاجاً ؛ أي أغلقته إغلاقاً ، ويقال لغلق الباب : الرتاج ، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام : أُرتج عليه .

وعجزه :

حتى أتيتُ أبا عمرو بنَ عمَّارِ

ورد في الحجة للقراء ٥/ ٤٣ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٢ ، وورد في الكتاب ٣/ ٥٠٦ ، ٤/ ٦٣_٦٥ ، وأدب الكاتب ٤٦١ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٤٥٦ ، ٥٢٨ ، والاقتضاب ٤٠٩ ، وشرح الجواليقي ٢٣٣ ، واللسان (غلق) ١٠/ ٢٩١ ، برواية :

ما زِلْتُ أفتحُ أبواباً وأُغلقُها حتى أتيت أبا عمرِو بْنَ عَمَّار

قال أبو حاتم السجستاني : «ويَقصدُ بأبي عمرو : أبا عمرو بن العلاء المازني النحوي ، والمعنى : لم أزل أتصرف في العلم وأطويه وأنشره حتى لقيت أبا عمرو فسقط علمي عند علمه» .

(١) قال أبو علي : «الفعل إذا بُني للمفعول فلا بُدَّ من تنزيله معدًّى ، فيكون تعدّيه على قراءة ابن كثير مثل : شَترتْ عينُهُ ، وشَترْتُها» .

الحجة ٥/ ٤٤ ، و(الشَّتَرُ) انقلاب في جَفن العين الأسفل قلَّ ما يَكُونُ خِلْقَةً . والمحيط في اللغة (شتر) ٧/ ٣٠٥ ، وقال المنتجب : «بل هو من الأفعال التي سُمع معدىً وغير معدىً ؛ نحو : غاضَ الماء ، وغاضَهُ الله ، وصَعقَ زيدٌ ، وصُعقَ ، وسعدَ زيدٌ وسُعدَ . الفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩١ .

(٢) الشاهد : تخفيفها ؛ والأصل تشديدها ، قال سيبويه : «وكأنّه حيث قال : عَمْرَك الله ، وقعدك الله ، قال : عَمَّرتُك الله بمنزلة نَشدتُك الله ، فصارت عَمْرَك الله منصوبةً بعمَّرتُك الله . .» الكتاب ١/ ٣٢٢ .

(٣) قطعة من بيت من رجز للعجاج يصف ماءً ، وتمامه :

يكشفُ عن جَمّاته دلْوُ الدَّالْ

ورد في ملحقات ديوانه ٢/ ٣٢١ ، وأدب الكاتب ٦١٢ ، والصحاح (دلو) ٦/ ٢٣٣٩ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٤/ ١٧٩ ، والحجة للقراء ٢/ ٢٥٤ ، وإيضاح الشعر : ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، والمخصص ٩/ ١٦٧ نسبه لأبي علي ، وفي المصادر جميعها : (الدَّالْ) بدل (الدَّالي) ولا فرق ، (الدَّالْ) ؛ أي المُدْلِي ؛ وهو المستقي ، (جماته) جمع جَّمة ، وهي المكان الذي يجتمع فيه ماء البئر ، والشاهد : أن =

و﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[١] [الحجر: ٢٢] هذا الذي ذكرنا قول أهل اللغة وأصحاب المعاني.

فأمَّا التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء: «تحيرت أبصارنا»، ورُوي عنه أيضاً: «سُدَّت»[٢]، وهو قول مجاهد[٣].

وقال الحسن: «سُحرت»[٤]، وقال قتادة: «أُخذت»[٥].

وقال الكلبي: «أُغشيت وعُميت»[٦].

= الأصل (المُدْلي) فحذف الزيادة، قال ابن قتيبة: «ولو قال العَجَّاجُ: (المدلي) لكان أشبهَ بما أراد، ولكنه أراد القافيةَ، وعلم أن الدالي والمُدلي يجوز أن يوصفَ بهما المستقي بالدلو». انظر: أدب الكاتب ٦١٢، والحجة للقراء ٢/ ٢٥٤.

(١) الحجة للقراء ٥/ ٤٣ بتصرف يسير. والشاهد في (لواقح) أن أصلها (ملاقح)؛ لأنها إذا أَلقَحَتْ كانت مُلقِحةً، وجمع المُلْقِح ملاقح، ولواقح على حذف الزيادة. الحجة للقراء ٢/ ٢٥٤.

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ، بلفظه، وانظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨، والخازن ٣/ ٩٠.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢ بلفظه، وورد بلفظه في تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧١٩، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٣، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٦، وابن كثير ٢/ ٦٠٢، والدر المنثور ٤/ ١٧٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٨، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٦، والثعلبي ٢/ ١٤٦أ، وانظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢ بلفظه، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٦، والثعلبي ٢/ ١٤٦أ، والماوردي ٣/ ١٥١، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨، وقد روي هذا القول عن ابن عباس أيضاً في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤، والدر المنثور ٤/ ١٧٦ روي عن قتادة بلفظ سدّت وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، والمؤكد أن قتادة رواه عن ابن عباس، ويؤيده أن عبدالرزاق ٢/ ٣٤٦، والطبري ١٤/ ١٢ أخرجاه بلفظه عن قتادة عن ابن عباس، وكذلك أورده ابن كثير ٢/ ٦٠٢.

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ١٣بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ، بنحوه، والماوردي ٣/ ١٥١ بلفظه، وتفسير البغوي ١٤/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨، وابن كثير ٢/ ٦٠٢.

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ أي سحرنا محمد ﷺ . قال الكلبي : «يقولون سحرنا فلا نبصر»[١] ، ونظير هذه القصة قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ ﴾[٢] [الأنعام :١١١] الآية ، وقد مر .

١٦. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ الآية . قال الليث : «البرج واحدٌ من بروج الفَلَك ؛ وهي اثنا عشر برجاً ؛ كل برج منها منزلان ونصف[٣] منزل للقمر ، وهي ثلاثون درجة للشمس ، إذا غاب منها ستة طلعت ستة ، ولكل بُرج اسم على حدة ؛ فأولها الحَمَلُ ، وأولُ الحَملِ الشَّرَطان ، وهما قَرْنا الحَمَل ؛ كوكبان أبيضان ، وخَلْفَ الشَّرَطَيْن البُطين ، وهذه ثلاثة[٤] كواكب ، فهذان منزلان ، والثريا من بُرج الحمل»[٥] ، وذكرنا الكلام في معنى البروج في اللغة واشتقاقها في قوله : ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء :٧٨] قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد بروج الشمس والقمر ؛ يعني منازلهما»[٦] ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة : «هي النجوم»[٧] .

---

(١) وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٤/ ٣٧١ .

(٢) والآية كاملة هي : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ والشاهد ظاهر .
فالآية تؤكد عدم جدّية القوم في الإيمان بالرسول مهما أظهر لهم من المعجزات الحسية التي طالبوه بها .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المصدر : (ثلث) وكذا في الممتع في شرح المقنع ٦٤ .

(٤) في النسخ جميعها : (ثلاث) ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، ولعله من النساخ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (برج) ١/ ٣٠٠ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٦٨ ورد مختصراً ، والخازن ٣/ ٩١ ، وصديق خان ٧/ ١٥٣ .

(٦) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩ ، والخازن ٣/ ٩١ .

(٧) تفسير مجاهد ٣٤٠ بنحوه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٤ عن قتادة بلفظه ، وفي رواية عن مجاهد وقتادة قال : «الكواكب» ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥ بنحوه عن مجاهد ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٦ بلفظه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٥٢ بلفظه عن الحسن ومجاهد ، وتفسير ابن الجوزي ٢/ ٦٠٣ عن مجاهد وقتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩ عن الحسن وقتادة ، والخازن ٣/ ٩١ عنهم ، وابن كثير ٢/ ٥٦٨ =

قال أبو إسحاق : «يريدون نجوم هذه البروج ، وهي نجوم على صورة ما سميت به ؛ نحو : الحَمَل والثَّور وغيرهما ؛ فالبروج نجوم كما جاء في التفسير»[١] ، وقال عطاء[٢] : «وقال بعضهم : قصوراً»[٣] ، فعلى هذا أريد بالبروج بيوت وقصور خلقها الله تعالى في السماء ، وقيل في قوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج :١] هي قصور في السماء[٤] ، وأصل هذا كله من الظهور وقد ذكرناه[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ ؛ أي بالشمس والقمر والنجوم ، ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ؛ أي للمعتبرين بها والمستدلين على توحيد صانعها .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ معنى الرجم في اللغة : الرمي بالحجارة ، ثم قيل للقتل : رجم ؛ لأنه يقصد به القتل ، ثم قيل لكل قَتْلٍ رَجْم وإن لم يكن[٦] بالحجارة ، ومنه قوله : ﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ [الدخان :٢٠] ؛ أي تقتلون ، والرجم : السب والشتم ؛ لأنه رمي بالقول القبيح ، ومنه قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾

= عن مجاهد وقتادة ، والدر المنثور ٤/ ١٧٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٥ بنحوه .

(٢) هكذا في النسخ جميعها ، ويبدو أنها تصحفت عن عطية ؛ لأن هذه الرواية وردت عن عطية ـ وهو العوفي ـ في المصادر التالية .

(٣) ورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٦ بلا نسبة ، والماوردي ٣/ ١٥٢ عن عطية . انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧١ عن عطية ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٧ عن ابن عباس وعطية ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠ ، والخازن ٣/ ٩١ عن عطية ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ عن عطية ، والدر المنثور ٤/ ١٧٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن عطية .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٧ بلفظه .

(٥) انظر : البسيط : [النساء :٧٨] .

(٦) في (أ) و(د) : (وإن يكن) . والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح الذي يستقيم به الكلام .

[الملك :٥] ؛ أي مَرَامي[١] ، والرجم : القول بالظن ومنه قوله : ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الكهف :٢٢] ؛ لأنه يرمي الظن إليه ، والرجم أيضاً اللعن والطرد والإبعاد والهجران[٢] ، وفسر بكل ذلك الشيطان الرجيم ؛ وذلك أن الرمي بالحجارة والقول القبيح يوجب هذه المعاني ، فسميت رجماً .

وقال أبوعبيدة : «رجيم : مرجوم بالنجوم[٣] ، بيانه قوله : ﴿ رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾» ، قال ابن عباس : «كانت الشياطين لا تحجب عن السموات ، فكانوا يأخذونها ويتحرون[٤] أخبارها فليقون على الكهنة ، فلما ولد عيسى منعوا من (ثلاث سموات ، فلما ولد رسول الله ﷺ منعوا من)[٥] السموات كلها ، فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا ورمي بشهاب[٦] ، فذلك قوله :

١٨ . ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾» ، (بيان هذا قوله : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ الآية [الجن :٨] . قال أبو إسحاق : «موضع (من) نصب ، المعنى : لكن من

---

(١) في النسخ جميعها : (مراماً) والمثبت هو الصحيح ؛ كما في تهذيب اللغة (رجم) ١١/ ٦٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (رجم) ٢/ ١٣٧٦ ، والصحاح ٥/ ١٩٢٨ ، واللسان ٣/ ١٦٠١ ، والمفرادات ٣٤٥ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٤٨ بلفظه .

(٤) في (ش) و(ع) : (ويتخبرون) ، من الاستخبار ، والمثبت من التحرِّي وكلاهما صحيح .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) جزء من حديث طويل ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٦ ، والثعلبي ٢/ ١٤٦أ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، والزمخشري ٢/ ٣١٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠ ، والخازن ٣/ ٩١ ، وهذا القول غريب ، وأغلب الظن أنه من طريق الكلبي ، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس ، ويؤكده نسبة الماوردي القول للكلبي ٣/ ١٥٢ ، وقد ورد حديث صحيح عن ابن عباس عن الحيلولة بين الشياطين وخبر السماء . انظر : صحيح مسلم (٤٤٩) كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنِّ ، وطرفه : «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب . .» .

استرق السمع)[١]»، قال: «وجائز أن يكون في موضع خفض على معنى إلا ممن»[٢]، قال ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: «يريد الخطفة[٣] اليسيرة، وذلك أن المارد من الشيطان يعلو فيُرمَى بالشهاب؛ فتُصيب جبهته أو جبينه أوحيث شاء الله منه فيحرقه ولا يقتله، ومنهم من يُخَبِّله فيصير غُولاً يُضل الناسَ في البراري»[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ ذكرنا معناه عند قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، ومعناه لحقه، والشهاب شعلة نار ساطع، ثم يُسمى الكوكبُ شهاباً والسنانُ شهاباً؛ لبريقهما يُشبَّهان بالنار، قال ابن عباس في قوله: ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: «يريد ناراً تَبِيْن لأهل الأرض»، قال المفسرون: «إن الشهاب لا يخطئه أبداً وأنهم ليُرْمَون، فإذا توارى عنكم فقد أدركه»[٥].

وقال أبو إسحاق: «هذا من آيات النبيّ ﷺ ومما حدث بعد مولده؛ لأن الشعراء قبله لم يذكروا هذا في أشعارهم، ولم يشبهوا الشيء السريع به[٦] كما شبهوا بالبرق وبالسيل، ولم يوجد في أشعارهم بيت واحد فيه[٧] ذكر الكواكب المُنْقضَّة»[٨]، وقال أصحاب المعاني: إن الله تعالى سمَّى ما تُرجم به الشياطين

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د).
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٦ بنصه.
(٣) في (أ) و(د): (الحفظة)، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح.
(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥ مختصراً، من طريق الضحاك عن ابن عباس منقطعة، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٣ مختصراً، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٩٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١، والخازن ٣/ ٩١.
(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦أ بنحوه.
(٦) (به) ساقط من (أ) و(د) ويقتضيها السياق.
(٧) في النسخ جميعها: (فيها) والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود إلى البيت وهو مذكر.
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٦ بنحوه.

شـــهاباً ، وهو في اللغة النار الســـاطعة[١] ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم ، فيجوز أن ذلك كما نرى ثم يصير ناراً إذا أدرك الشـــيطان ، ويجوز أنهم يُرمَون بشـــعلة نار من الهـــواء ، ولكن لبعده عنا يخيل إلينا أنـــه نجم ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

١٩. قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ قال ابن عباس وغيره : «بســـطناها على وجه المـــاء»[٢] ، ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ وهي الجبال الثوابت لئلا تميد بأهلهـــا ؛ كما قـــال : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل :١٥] ، ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ اختلفوا في معنى موزون هاهنـــا ، فذهب الأكثـــرون إلى أن معناه : المحصـــل المعلوم المقدور ، ذلك[٣] أن الوزن إنما يســـتعمل لبيان المقدار والإشراف على حقيقته ، فوُصِفَ المعلومُ بالموزون وإن لم يكن هناك وزن ؛ لأن أوكد ما يتحصل به معرفة المقادير الوزنُ ، قال ابن الأنباري : وأنشد :

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقائِكُمْ ذا مِرَّةٍ[٤] عِنْـــدِي لِـــكُلِّ مُخَاصِـــمٍ مِيزَانُه[٥]

يعني : قدر ما يستحق أن يجاب به من الكلام .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (شهب) ٢/ ١٩٤٢ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٣٩٥ ، والصحاح ١/ ١٥٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٠ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ١٢ ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦ب ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٠ ، والخازن ٣/ ٩٢ .

(٣) في (ش) و(ع) زيادة (واو) قبل ذلك .

(٤) ساقط من (د) ، والمرَّة : الشدّة . المحيط في اللغة (مر) ١٠/ ٢٢٠ .

(٥) ورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، واللسان (وزن) ٨/ ٤٨٢٩ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٨٠ .

وهذا معنى قول ابن عباس[١] وعكرمة وسعيد بن جبير والحكم ومجاهد ؛ قال عكرمة : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ : «بقدر»[٢] .

وقال سعيد : «معلوم»[٣] ، وقال الحكم : «مقدر»[٤] .

وقال مجاهد : «مقدور بقدر»[٥] .

وهذا القول اختيار أبي عبيدة[٦] والزَّجَّاج وأبي بكر ، قال الزَّجَّاج : «أي من كل شيء مقدور جرى على وزْنٍ مِنْ قَدَرِ الله لا يجاوز ما قدَّره الله عليه»[٧] ، ويشهد لهذا التأويل قوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد :٨] وهذا عام في كل ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض ما ليس من جنس الأرض مما يكون في المعادن ، وذلك للفظ[٨] الإنبات ؛ لأنه إنما يستعمل في ما ينبت من الأرض ، ويستعمل في الحيوانات أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران :٣٧] ويقال الرجل

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥ من طريق ابن أبي طلحة ، صحيحة ، ومن طريق العوفي ، ضعيفة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٥٣ ، والطوسي ٦/ ٣٢٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، والخازن ٣/ ٩٢ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٥٠١ ، بلفظه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، والخازن ٣/ ٩٢ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ ، والدر المنثور ٢/ ٦٠٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٣ ، والطوسي ٦/ ٣٢٦ ، تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، والخازن ٣/ ٩٢ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦ بلفظه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٠٣ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٤٠ بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٦ بلفظه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، والخازن ٣/ ٩٢ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٤٨ قال : «بقدر» .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٦ بنصه .

(٨) في النسخ جميعها : (اللفظ) ، وبالمثبت يستقيم الكلام .

يُنَبِّتُ الجارية ؛ أي يَغْذُوها ويُحسِـن القيامَ عليها ، حكاه الليث[١] ، فأما الجواهر فقد دخلت تحت قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ولا تدخل في الإنبات .

وذهب آخرون في قوله : ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ إلى حقيقة الوزن ، فقال عطاء : «يريد الثمار مما يكال أو يوزن»[٢] .

وقال الكلبي : ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ : «في الجبال» ، ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ ، وكل شيء يوزن وزناً[٣] ، وهذا قول ابن زيد والحسن واختيار الفرَّاء .

قال ابن زيد : «هي الأشياء التي توزن»[٤] ، وقال الحسن : «الزعفران وما أشبهه»[٥] .

وقال الفرَّاء : «﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ ، يقول من الذهب والفضة والرَّصاص والنحاس ، فذلك الموزون»[٦] ، فذهب بعض هؤلاء الذين ذكرنا إلى ما يتحقق الإنبات فيه ، وهو الحسن وعطاء ، وعَمَّمَ ابنُ زيد كل ما يوزن ، فدخل فيه ما يتحقق الإنبات فيه كالحبوب والثمار وما لايتحقق كالذهب والفضة ، إلا أنه لا

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (نبت) ٤/ ٣٤٩١ بنصه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير هود الهواري ٢/ ٣٤٥ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ ، والثعلبي ٢/ ١٤٦ب .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧ بنصه ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦ب ، والماوردي ٣/ ١٥٤ ، والطوسي ٦/ ٣٢٦ ، انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٤ ، وابن عطية ٧/ ٢٩٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، والخازن ٣/ ٩٢ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) لم أقف على هذا القول ، والمنسوب إليه هو قول الكلبي السابق ، تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣ ، والخازن ٣/ ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٦ بنصه .

يجـوز إطلاق الإنبات عليها [إلا][1] إذا اجتمعـت ؛ لأن بعضها يتحقق الإنبات فيه ، فاسـتعمل في غيره إذا اجتمع معه لاشـتراكهما في الوزن ، والجمع بينهما في اللفـظ ، والكلبي والفرَّاء خصا جواهر المعـادن ، ولا يليق لفظ الإنبات بها ولا يحسـن ، قال أبو بكر : «والقول الأول أثبت ؛ لأنـه يحمل الآية فيه على العموم ، والقـول الثاني يوجب اختصاصاً لم يأت به برهـان ، على أنه على بُعْدِه غير خارج عن الصواب ، والله أعلم» .

٢٠. قوله تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ قال ابن عبـاس : «يريد من الثمار والحبوب»[2] ، وذكرنا الكلام في المعايش في سورة الأعراف[3] .

وقوله تعـالى : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد مما مَلَّكْتُكم وما أنتم له برازقين ، إنما رِزْقهم عليَّ وأنا خالقهم» ، وهذا قول مجاهد واختيار الزَّجَّاج وأبي بكر ، روى ابـن جريج عن مجاهد في قوله : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ قال : «الدواب والأنعام»[4] .

وقـال الزَّجَّاج : «الأجـود -والله أعلم- أن يكون (مـن) هاهنا -أعني في قوله : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾- يراد بها العبيد والـدواب والأنعام ؛ أي وكُفِيتُمْ مؤنة أرزاقها»[5] .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، ولعلها سقطت .

(٢) تنوير المقباس ٢٧٧ بنحوه .

(٣) آية : [١٠] .

(٤) تفسـير مجاهد ٣٤٠ بنصه عن ابن أبي نجيح ، وأخرجه الطـبري ١٤/ ١٧ بنصه من طريق ابن جريج وابـن أبي نجيـح ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨ ، وتفسـير الماوردي ٣/ ١٥٤ ، وتفسـير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، تفسـير القرطبي ١٠/ ١٣ ، وأبي حيان ٥/ ٤٥٠ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٨ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ بنصه .

وقال أبو بكر : «تقديره وجعلنا لكم فيها معايش وعبيداً وإماءً يرزقهم ولا ترزقونهم» .

قال أبو إسحاق : «وموضع (مَنْ) نصبٌ من جهتين ؛ أحديهما : العطف على ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾ : وجعلنا لكم من لستم له برازقين ، وجائز أن يكون عطفاً على تأويل (لكم) ؛ لأن معنى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ : أعشناكم ، المعنى : أعشناكم ومن لستم له برازقين[١] ؛ أي رزقناكم ومن لستم له برازقين» . (وعلى هذا الوجه يجوز أن يدخل الطير والوحش في قوله : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾)[٢] ؛ لأن الله تعالى أعاشهم كما أعاشنا ، وهو قول الكلبي في قوله : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ قال : «يعني الوحش والطير»[٣] ، ونحوه قال منصور ، ولا يجوز أن يفرد الوحش والطير والدواب عن الإماء والعبيد في هذه الآية ؛ لأن (من) لا يكاد يكون لغير ما يعقل ، فإذا جمع مع من يعقل ، غلب من يعقل بفضيلة العقل ، فجاز إيقاع (من) عليهم ، وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين[٤] .

ووجه قول الكلبي ، حيث أفرد الوحش والطير والدواب والأنعام ، أن (من) لَمَّا[٥] وصفت بالمعاش الذي الغالب عليه أن يُوصفَ الناس به ، فيقال : الآدمي يتعيش ، ولا يقال : الفرس يتعيش ، جرت الهَوَامُ والوَحشُ ـلَمَّا وُصفت بوصف

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ بنصه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧ ، وورد في تفسير الثعلبي :٢/ ١٤٧أ ، والماوردي ٣/ ١٥٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٨ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفي كل هذه المصادر كلها ورد منسوباً إلى منصور ، وفسرها بالوحش فقط ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي إلا في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٢ ، والظاهر أنه نقله عن الواحدي .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩٢ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٥٠ ، وهذا القول اختاره الطبري وصوَّبه .
انظر : الطبري ١٤/ ١٨ .

(٥) في (ش) و(ع) : (لها) .

الناس- مجرى الناس في التسمية ، ألا ترى أن علامة جمعها جعلت كعلامة جمع الناس في قوله : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ [النمل :١٨] ، ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس :٤٠] ، و﴿ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف :٤] ، وكان وقوع (من) على غير الناس في هذا الموضع كتصيير الواو و(١)الياء لجمع(٢) غير الناس حين وصفه بأوصاف الناس . هذا كلام أبي بكر ، ومعنى قول أبي إسحاق(٣) ، وذكر الفرَّاء أن (من) يجوز أن تكون في محل خفض على تقدير : وجعلنا لكم فيها معايش ولمن ، ثم قال : وقلما تَردُّ العربُ حرفاً مخفوضاً على مخفوض قد كُنِّيَ عنه(٤) ، وهو جائز على قراءة من قرأ : ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ [النساء :١] خفضاً(٥) ، وقد ذكرنا ذلك .

٢١. وله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ، الخزائن جمع الخزانة ، وهي اسم المكان الذي يُخزن(٦) فيه الشيء أي يحفظ ، والخزانة أيضاً عمل الخازن(٧) ، ويقال خَزَنَ الشيءَ يَخْزِنه إذا أحرزه في خِزَانَةٍ(٨) ، وعامة المفسرين على أن المراد بقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ﴾ أي من المطر(٩) ؛ وذلك

---

(١) (الواو) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في (أ) و(د) : (الجميع) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المناسب للسياق .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٦ ، بنصه تقريباً ، وهذه مسألة خلافية بين النحويين ؛ فأجازها الكوفيون ومنعها البصريون ، ولكل حجته في ما ذهب إليه ، والصحيح جواز ذلك ؛ لورود القراءة الصحيحة بذلك ، والقراءة حجة يجبُ أن تُخضعَ لها قواعد النحو ، ويُحكم بها عليها . انظر المسألة بالتفصيل في : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم : [٦٥] ٢/ ٤٦٣ .

(٥) وهو حمزة وحده ، وقرأ الباقون بالنصب ؛ والأرْحَامَ ، انظر : السبعة ٢٢٦ ، والحجة في القراءات ١١٨ ، وعلل القراءات :١/ ١٣٧ .

(٦) في (أ) و(د) : (يحرز) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المتفق مع لفظ الآية ، وموافق للمصدر .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (خزن) ١/ ١٠٢٧ بنصه تقريباً ، وانظر : المحيط في اللغة (خزن) ٤/ ٢٧٧ ، القاموس ١١٩٣ .

(٨) المصدر السابق بنصه ، وهو قول الليث .

(٩) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ ، والثعلبي ٢/ ١٤٧أ ، والماوردي ٣/ ١٥٥ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٩٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٤ ، وتفسير =

أنه سبب الرزق ومعايش بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش ، فلما ذكر أنه يعطيهم المعاش بيَّن أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده ؛ أي في أمره وحكمه وتدبيره .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد ما يكفي خلقي» ، وقال الحكم : «ما من عام بأكثرَ مطرٍ من عام ، ولكنه يُمْطَرُ قومٌ ويُحْرَمُ آخرون ، وربما كان البحر»[1] ؛ يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم لا ينقصه ولا يزيده ، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء كما شاء ، وقال أهل المعاني في هذه الآية : خزائن الله -جل وعز- مَقْدُوراته[2] ؛ لأنه يُقدِّر أن يوجد ما يشاء من جميع أجناس المعاني ، وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ قال : «يريد أَمْلِكُ خزائنه ، وأقول كن فيكون»[3] ، يعني أنه -تعالى ذِكْرُه- لما قَدَرَ على إنشاء ما يريد كما يريد ، صارت الأشياءُ كأنها عنده في خزائنها مُعَدَّةٌ ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ؛ أي

= القرطبي ١٠/ ١٤ ، والخازن ٣/ ٩٣ ، وهذا التخصيص بالمطر فيه تحكم في اللفظ العام من دون دليل قوي ، وقد اعترض عليه جماعة من المفسرين المحققين ، منهم ابن عطية والفخر الرازي والشوكاني وصديق خان ، يقول الشوكاني : «(إنْ) هي النافية ، و(مِنْ) مزيدة للتأكيد ، وهذا التركيب عام ؛ لوقوع النكرة في حيز النفي مع زيادة (من) ، ومع لفظ شيء المتناول لكل الموجودات الصادق على كل فرد منها ، فأفاد ذلك أن جميع الأشياء عند الله خزائنها لا يخرج منها شيء» . تفسير الشوكاني ٣/ ١٨٢ .

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٧أ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ، وقد أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٢٤ ، لكن عن الحسن لا عن الحكم كما قال السيوطي .

(٢) انظر : غرائب التفسير ١/ ٥٨٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤ ، والخازن ٣/ ٩٣ .

(٣) في تنوير المقباس ٢٧٧ قال : «بيدنا مفاتيحه لا بأيديكم» ، وعنه في الدر المنثور قال : «ما نقص المطر منذ أنزله الله ، ولكن تمطر أرض أكثر مما تمطر الأخرى» . والدر المنثور ٤/ ١٧٨ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

ما ننشئه وما نحدثه ، والإنزال يكون بمعنى الإنشاء والإحداث كقوله : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر :٦] ، وقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد :٢٥] ، وقد مر[١] ، والمعنى أنّا ما نخلقه إلا بقدر معلوم لنا ، ولو شئنا أن نخلق أضعاف ذلك قدرنا عليه .

٢٢. قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد للشجر وللسحاب»[٢] ، وهو قول الحسن وإبراهيم وقتادة والضحاك ، وأصل هذا من قولهم : لَقِحَتْ الناقةُ ، وأَلْقَحَها الفحلُ إذا ألقى إليها الماءَ فحملته[٣] ، فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب ، ألا ترى إلى ما

---

(١) لعل الأولى أن يقول : وسيأتي .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٢ بنصه عن ابن عباس والحسن ، وعن الباقين قال : «للسحاب» ، ورواية ابن عباس من طريق الحجاج عن ابن جريج ، صحيحة .
وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٥١ ، ٣٥٢ عن الحسن بنصه ، وعن إبراهيم بنحوه .
وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩ بنصه عن ابن عباس والحسن ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ عن ابن عباس قال : «للأشجار» ، وعن قتادة قال : «للسحاب» ، والماوردي ٣/ ١٥٥ عن ابن عباس : «للشجر» ، وعن الحسن وقتادة : «للسحاب» ، والطوسي ٦/ ٣٢٩ عن قتادة وإبراهيم والضحاك قالوا : «للسحاب» ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٤ ، عن الحسن وإبراهيم ، الفخر الرازي ١٩/ ١٧٥ عنهم ما عدا إبراهيم ، والخازن ٣/ ٩٣ عن ابن عباس والحسن وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦٠٤ عنهم ما عدا الحسن .
وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٩ وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر عن ابن عباس ، وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك ، وعن قتادة ، وعن إبراهيم .

(٣) انظر : جمهرة اللغة (لقح) ١/ ٥٥٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٨٣ ، والمحيط في اللغة ٢/ ٣٥٢ . وورد في الطوسي ٦/ ٣٢٨ بنصه .

قال ابن مسعود في هذه الآية ؛ قال : «يبعث الله الرياح لتُلقحَ السحابَ فتحمل الماءَ وتمُجُّه في السحاب ثم تَمْريه[١] فيدُرُّ كما تَدُرُّ اللِّقحةُ»[٢] .

وقال عبيد بن عمير : «يرسل الله المُبشِّرة فَتَقُمَّ الأرضَ قَمّاً ، ثم يرسل المُثيرة فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلِّفة فتؤلفه ، ثم يرسل اللواقح فَتُلقِح الشجر»[٣] ، والأظهر في هذه الآية إلقاحها السحاب لقوله بعده : ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ، ولأن إلقاحها للسحاب ظاهر كما ذكرنا ، وإلقاحها للشجر لم يذكر كيف هو[٤] ، فإن قيل كيف قال (لواقح) وهي مُلْقِحة ؟ والجواب ما ذهب إليه أبو عبيدة : «أن لواقح هاهنا بمعنى مَلاقِح جمع مُلْقِحَة ، فحذفت الميم منه وردت إلى الأصل» ،

---

(١) (تَمْريه) ؛ المَرْيُ : مَسْح ضَرْع الناقة لتَدرَّ ، والريح تَمْري السحابَ مَرْياً ؛ أي تجعل المطر يدرُّ منه . (اللَّقْحَةُ واللِّقْحَةُ) : هي الناقة القريبة العهد بالنتاج : الحَلُوب الغزيرة اللبن ، تقول : لَقحةُ فلان ، ولا تقول : ناقة لَقْحة ولِقْحة ، وإذا جعلتها نَعْتاً قُلت : ناقةٌ لَقُوْحٌ ، والجمع لِقَحٌ ولِقاح . انظر : تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٣ ، و(مرى) ٤/ ٣٣٨٣ ، والمحيط في اللغة (لقح) ٢/ ٣٥٢ ، و(مرى) ١٠/ ٢٨١ ، ومتن اللغة ٥/ ١٩٧ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٠ ، بنحوه ، والطبراني في الكبير ٩/ ٣٥٣ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٤٧أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٥ ، والخازن ٣/ ٩٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٤ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٤٥ وقال : «وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف» ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي ، لم أقف عليه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٢١ بنصه ، وأبو الشيخ في العظمة ٣٤٤ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٧أ بنصه ، والماوردي ٣/ ١٥٥ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦ ، والخازن ٣/ ٩٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكر الطبري : «أن إلقاحها السحاب والشجر : عملها فيه» . تفسير الطبري ١٤/ ٢٠ .

وأنشد لنهشل بن حَرِّيٍّ[١] يرثي أخاه :

لِيُبْكَ يَزيدُ بـائِسٌ ذو ضَـرَاعـةٍ وَأَشْـعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوائِحُ[٢]

أراد المطوحات ، فرد الحرف إلى أصل الثلاثي ، واحتج أيضاً بقول رؤبة :

يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ[٣] لَيْلٍ غاضِ[٤]

---

(١) نهشل بن حري بن ضَمرة بن جابر النَّهشلي ، شاعر شريف مشهور ، هو وأبوه وجدُّه شعراء ، كان حسن الشعر ، عدَّه الجمحي في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الإسلام . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٨٣ ، والشعر والشعراء : ٤٢٤ ، والخزانة ١/ ٣١٢ .

(٢) اختلف في نسبة البيت لنهشل ، فنُسب إلى أكثر من واحد ، وقد صوَّب البغدادي نسبته إلى نهشل . انظر : الخزانة ١/ ٣١٣ ، وقد ورد البيت في تفسير الطبري ١٤/ ٢١ ، وابن عطية ٨/ ٢٩٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٣ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٥ وورد برواية :

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومُخْتَبِطٌ مما تُطيح الطَّوائِحُ

في الكتاب ١/ ٢٨٨ ، ٣٦٦ ، والإيضاح ١١٥ ، والخصائص ٢/ ٣٥٣ ، والمحتسب ١/ ٢٣٠ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٢٩ والأساس ٢/ ٨٣ ، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ١٤٩ ، وشرح شواهد الإيضاح ٩٤ ، وشرح المفصل ١/ ٨٠ ، واللسان (طيح) ٥/ ٢٧٣٤ ، والدر المصون ٧/ ١٥٣ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٠٣ ، والخزانة ١/ ٣٠٣ ، معناه : هذا الممدوح الذي هو (يزيد) كان رجلاً عظيماً يُقْصد في النَّصر وفي العطاء ، فيقصده الضارع للخصومة لينصره وهو المائل إليها ، ويقصده (المختبطُ) : الاختباط : طلب المعروف والكسب ، خبطه واختبطه ، والمختبط : الذي يسألك بلا وسيلة ولا معرفة ، (مما تطيح الطوائح) : وهو الذي أصابته شِدَّة السنين ، والطوائح : الشدائد ؛ فيقصدُه هذا ليدفع عنه بالعطاء شدة ما أصابه من ذلك ، فلذلك وصفه بالنَّصر والكَرم . وانظر : المحيط في اللغة (خبط) ٤/ ٢٩٤ .

(٣) في النسخ جميعها : (أزواج) ، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر .

(٤) ديوان رؤبة ٨٢ وروايته :

بالعِيسِ فوق الشَّرَكِ الرِفاض كأنَّما يَنْضَحْنَ بالخَضْخاضِ

يخرجنَ من أجواز ليلٍ غاضِ نَضْوَ قِداحِ النابلِ النواضي

وورد في أدب الكاتب ٦١٢ ، وشرح الجواليقي ٣٠٠ ، واللسان (دلا) ٣/ ١٤١٧ ، و(غضا) ٦/ ٣٢٦٩ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٤/ ١٧٩ ، والمخصص ٩/ ١٦٧ . (العيس) الإبل البيض ، (الشَرَك) أخاديد الطريق ، الواحدة : شركة ، (الرفاض) المتفرقة يميناً وشمالاً ، (ينضحن) يعرقن ، (بالخضخاض) القطران الرقيق ، شبَّه عرق الإبل به وعرقها أسود ، (يخرجن) أي الإبل ، =

يريد : مُغضٍ ، وبقوله :

تَكْشِفُ عَنْ جَمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالِي[1][2]

يريد : الـمُدْلِي . قال أبو بكر : «وقد قال العرب : أَبْقَلَ النبت فهو بَاقْلٌ ، يجعلون باقلاً بدلاً من مُبْقِل» ، ففي هذا دليل على تعيين لاقح عن مُلْقِح ، وإلى قريب من هذا ذهب الفرَّاء ؛ فقال : «يجوز فاعل لِمَفْعَل ، كما جاء لمفعول ؛ نحو : ماءٍ دافقٍ ، وسرٍّ كاتمٍ ، وليلٍ نائمٍ ، وكما قيل : الـمَبْرُوز في معنى الـمُبْرَز في قوله[3] :

النَّاطِقُ الـمَبْرُوزُ والـمَخْتُومُ

= (الأجْوَاز) جمع جَوْز ، وهو الوسط ، (غاض) مظلم ، (النضْو) الخروج ، شبه خروجها من الليل بخروج القداح من الرمية .

(١) وعجزه :

عَبايةً غَثْراءَ من أَجْنِ طالْ

ورد في ملحقات ديوان العجّاج ٢/ ٣٢١ ، وورد في أدب الكاتب ٦١٢ ، وشرح الجواليقي ٣٠١ ، واللسان (دلا) ٣/ ١٤١٧ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٤/ ١٧٩ ، والمخصص ٩/ ١٦٧ . (الجمات) : جمع جمَّة ، وجمَّة البئر اجتماع مائها ، (الدَّالي أو الدال) هو الجاذب للدَّلْو من البئر ليخرجها ، ويقال (الدالي) صاحب الدلو ، (عباءة) كساء ، (غثراء) مثل غبراء ؛ الكدر اللون ، (أَجْن) يقال ماءٌ أَجِنٌ ، وماءٌ آجِنٌ ؛ هو الماء المتغير بطول الـمَكْث ، وهو الذي غشيه العَرْمَضُ ـ الطُّحْلُبُ ـ والورق ، شبه ما على الماء من الطحالب والورق بسبب طول المكث بالعباءة ؛ لأنه لا يورد . انظر : المحيط في اللغة (أجن) ٧/ ١٩١ ، وشرح الجواليقي ٣٠١ ، واللسان (غثر) ٦/ ٣٢١٤ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٤٨ بنحوه .

(٣) البيت للبيد وقد سبق عزوه قريباً في ٤٢٦ .

وذلك أن هذه الأشـياء لم يُرَدَّ البناءُ فيها إلى الفعل»[١] ، واختار أبو علي أيضاً قول أبي عبيدة فقال : «لواقح بمعنـى مَلاقِح ، على حذف الزيادة» ، قال : «وكما حذفت الزيادة من الجمع هاهنا حذفت من المصدر في شعر أبي دُؤَاد يذكر سحاباً :

لَقِحْنَ ضُحَيَّـاً لِلَقْـحِ الجَنُـوبِ وَأَصْبَحْـنَ يُنْتَجْـنَ مـاءَ الحَـيَاءِ[٢]

فقوله : (لِلَقْحِ الجنـوب) ، تقديره : لإلقاحِ الجنـوب ، فحذف الزيادة من المصدر»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «يجوز أن يقال لهـا لواقح ، وإن ألقحت غيرها ؛ لأن معناها النسب»[٤] ، وشرح أبو بكر هذا القول فقال : «واحد اللواقح لاقح ، ومعنى لاقح ذاتُ لَقْح ،كما قالوا : تامر ولابن ونابل» ، وأبـو الهيثم اختار أيضاً هذا ، وقال : «هذا كما يقال : دِرْهَم وازِنٌ ، أي ذو وزن ، ورامحٌ وسـائفٌ ، ولا يقال رَمحَ ولا سـافَ»[٥] ، وهذا الذي ذكرنا قول هؤلاء وليـس هذا بمعنى ؛ لأنه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات اللقاح حتى يوافق قول المفسرين ، فإن أرادوا بقولهم : (ذات لقح) أن الريح هي الحامل نفسـها لم يحتج فيها إلى القول بالنسب ، ويكون معناه ما ذكره الفرَّاء فقال : «جعل الريح هي التي تَلْقَح بمرورها على السـحاب [و][٦] التراب والمـاء ، فيكون فيها اللَّقَاح ، فيقال : ريـح لاقح ، كما يقال : ناقة

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٧ بتصرف .
(٢) ورد في الحجة للقراء ٢/ ٢٥٣ .
(٣) ورد في الحجة للقراء ٢/ ٢٥٣ بتصرف يسير .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ بنصه .
(٥) ورد قوله في تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٥ بتصرف يسير .
(٦) زيادة يقتضيها السياق .

لاقح»[١]، واختار ابن قتيبة هذا القول، وكَـره قولَ أبي عبيدة، وقال: «العرب تسمي الرياح لواقح، والريح لاقحاً، قال الطِّرِمَّاح:

قَلِقٌ لِأَفْنَانِ الرِّيَاحِ ... لِلاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلْ[٢]

فاللاقحُ الجنوب، والحائلُ الشمال، يذكر بُرْداً مَدَّه[٣] على أصحابه في الشمس يستظلون به، ويُسمّون الشمال أيضاً عقيماً؛ لأنها لا تحمل، وإنما جعلوا الريح لاقحاً، أي حاملاً؛ لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتُصَرِّفه، وهذا في قول أبي وَجْزَةَ[٤]:

حَتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ فِي مَسَكٍ
مِنْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ»[٥]

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٧ بنصه.

(٢) ورد البيت في الحجة للقراء ٢/ ٢٥٢، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٥٢٤، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٩٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٢.

(٣) في (د): (يريد أمده).

(٤) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد السعدي المدني، من بني سُلَيم، نشأ في بني سعد بن بكر فغلب عليه نسبهم، كان شاعراً مجيداً، ومحدِّثاً ثقةً، مات سنة ١٣٠هـ. انظر: الشعر والشعراء ٤٦٩، والأغاني ١٢/ ٢٧٩، وتقريب التهذيب ٦٠٣ رقم (٧٧٥٣)، والخزانة ٤/ ١٨٢.

(٥) ورد في تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٥، و(هدج) ٤/ ٣٧٢٨، والأزمنة والأمكنة ٥٢٤ وفيه: (مَسَد) بدل من (مسك)، واللسان (هدج) ٨/ ٤٦٣٠، و(لقح) ٧/ ٤٠٥٩، و(مسك) ٧/ ٤٢٠٣. (سلكن الشوى): الأُتُنُ الحمير أدخلن شواهُنَّ؛ أي قوائمهن، (مَسَك): بالتحريك؛ الأسورة والخلاخيل من الذَّبْل -وهي قرون الأوْعَال- والعاج، واحدته مَسْكة، (مهداج): الهَدْجةُ: رَزْمة صوت الناقة وحنينُها على ولدها، ويقال للريح الحنون: لها هَدْجة ومِهْداج، فهو يذكر حميراً وردت ماءً فأدخلت قوائمها في الماء، وهذا الماء من نسل جوابة الآفاق؛ أي ريح تجوب البلاد؛ أي هي أخرجته من الغيم واستدرَّته، فجعل الماء لها نتاجاً وولداً، فالرياح على هذا هنَّ اللواقح.

يعني الماء من نسل ريح جوابة للبلاد ، فجعل الماء للريح كالولد ؛ لأنها حملته في السحاب ثم مَرَت[١] السحاب حتى ألقته ، قال : «ومما يوضح هذا قوله جل ذكره : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف :٥٧] أي حملت»[٢] . وهذا القول اختيار الأزهري ، وقال بعد ما حكى قول ابن قتيبة : «فهذا على هذا المعنى لا يحتاج أن يكون لاقِحٌ بمعنى ذات لَقْح ، ولكنها حامل تحمِلُ السحاب والماء[٣] ، والله أعلم» .

ويؤكد هذا الوجه أن المفسرين ذكروا في إلقاحها السحاب أنها تحمل الماء ، قال أبو إسحاق : «وجائز أن يقال للريح : لقحت إذا أتت بالخير ؛ كما قيل لها : عقيم إذا لم تأت بخير»[٤] ، قال ابن الأنباري : «الريح اللاقح الذي يحمل الماء والسحاب على جهة التشبيه والتمثيل بالناقة التي تشتمل على ماء الفحل ، والذي يتولد عن الريح من السحاب ، والمطر بمنزلة الولد الذي تنتجه الناقة ، وهذا كما تقول العرب : قد لقحت الحرب وقد نتجت ولداً أنكداً[٥] ، يُشبِّهون ما تشتمل

(١) أي استدرته ، وجعلت المطر يدر .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ١٧٨ بتصرف .

(٣) تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٥ بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ بنصه .

(٥) الكلمة غير واضحة في النسخ جميعها كأنها : أيلد ، والتصويب من تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٦ . والنّكدُ : الشؤم واللؤم ، وكل شيءٍ جر على صاحبه شرّاً فهو نَكَدٌ ونَكِدٌ ، وصاحبه أنْكَدُ ونَكِدٌ . المحيط في اللغة (نكد) ٦/ ٢١٤ .

عليه مـــن[(١)] ضروب الشر بما تحمله الناقة، ويُشـــبِّهون بما يتولـــد منها من القتل والنهب بما تضعه الناقة[(٢)]، يشهد لصحة هذا قول الشاعر[(٣)]:

لَقَحَتْ حُرْبُ وائلٍ عَنْ حِيالِ[(٤)]

والريـــاحُ العقيمُ غيرُ لاقح، إذا لم تحمل مـــا يتولد منه مطر ويصدر عنه روح وفرح»[(٥)].

---

(١) ساقطة من (أ) و(د).

(٢) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٤ ورد مختصراً، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٦ ورد مختصراً غير منسوب.

(٣) هو الحارث بن عباد (جاهلي).

(٤) وصدره:

قَرِّبا مَرْبطَ النعامة منِّي

ورد في الأصمعيات ٧١، والحيوان ٤/ ٣٦١، وأمالي القالي ٢/ ١٣١، والأزهية ٢٨٠، والاقتضاب ٤٤٣، وشرح الجواليقي ٢٦٦، وأمالي ابن الشـــجري ٢/ ٦١٢، والحماســـة البصرية ١/ ١٦، وورد بلا نســـبة في معاني الحروف للرماني ٩٥، والمنصف ٣/ ٥٩. (النعامة) اسم فرسه، (المربط) الموضع الـــذي تربط فيه، (لقحت) حملت، (عن حيـــال) بعد حيال؛ أراد أنها هاجت بعد ســـكونها، يقول ابن الســـيد: «والحيال: أن تضرب الناقة فلا تحمل، وإنما ضرب ذلك مثلاً لِمَا تولد عن الحرب وأنتج منها من الأمور التي لم تكن تحتسب بعد ذلك».

(٥) خلاصـــة القول في (لواقح) أن فيها ثلاثة أقـــوال: أن الرياح ملقحة، أو لاقحة، أو ذات لقح، وهذا الأخير محتمل لأحد القولين، فتؤول المسألة إلى قولين؛ إما ملقحة أو لاقحة، وهو ما رجحه الطبري ١٣/ ٢٠، وهذا القول موافق للواقع المشـــاهد؛ فالريح لاقح لأنها تحمل السحاب وما فيه من الماء، وتحمل اللَّقاح من الشـــجر الذكور إلى الإناث، وهي ملقحة لأنها تلقح السحاب بعضه ببعض؛ فيدرُّ المطر وكذا فعلها في الأشـــجار، ولا تعارض بين القولين، لكن السياق هنا يرجح القول بأنها ملقحة للســـحاب؛ أي تلقح بعضه ببعض فيدرَّ المطر، فالآية تشـــير إلى أثر الرياح في الجمع بين الشـــحنات الكهربائية الموجبة والســـالبة في الســـحاب، وهو ما أثبته العلم الحديث؛ حيـــث تقوم الرياح بتلقيح الســـحاب، وذلك في عملية تتضمن إمداده بأكداس من جســـيمات مجهرية صغيرة، تســـمى: نوى التكاثف، ومن اهـــم خواص هذه النويات أنها تمتص الماء أو تذوب فيه، وتحمل الرياح كذلك بخار الماء وتلقح به السحاب لكي يمطر.

انظر: الإسلام في عصر العلم ٤٠٦، والمعجزة الخالدة: ٣٣٦، ومباحث في إعجاز القرآن ١٨٨.

وقوله تعالى : ﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ﴾ ، قال الأزهري : «العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري : أسْقيْتُ ؛ أي جعلته شُرْباً له ، وجعلت له منها مسقى ، فإذا كانت السقيا لشفته قالوا : (سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه)[١] ، الذي يؤكد ويبين هذا اختلاف القُراء في قوله : ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل :٦٦] فقرأوا باللغتين ، ولم يختلفوا في قوله : ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الدهر :٢١] وفي قوله : ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء :٧٩]» .

وقال أبو زيد : «اللهم اسقنا إسقاءً رِوَاءً ، وأسقيت فلاناً رَكِيَّتي[٢] ، إذا جعلت له منها مَسْقىً»[٣] .

وقال أبو علي : «تقول : سقيته حتى روى ، وأسقيته نهراً ، جعلته شِرْباً له ، وقوله : ﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ﴾ : جعلناه سُقيا لكم ، وربما قالوا في : أسقى سقى ؛ كقول لبيد يصف سحاباً :

أَقُولُ وَصَوْبُهُ مِنِّي بَعِيدٌ ... يَحُطُّ الشَّثَّ مِنْ قُلَلِ الجِبَالِ

سَقَى قَومِي بَني مَجْدٍ وَأَسْقَى ... نُمَيْراً وَالقَبائِلَ مِنْ هِلالِ[٤]

---

(١) تهذيب اللغة (سقى) ٢/ ١٧١٥ ، وما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) الرَّكْوَةُ : شِبْهُ تَوْر من أدم ، والجمع الرِّكَاءُ ، والرَّكْوُ : أن تحفر حوضاً مستطيلاً ، والرَّكِيَّة : بئر تُحفر ، وجمعها رَكِيٌّ ورَكَايا ، انظر : تهذيب اللغة (ركو) ٢/ ١٤٥٦ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣١٧ .

(٣) النوادر في اللغة ٥٥٤ بمعناه ، وورد في تهذيب اللغة (سقى) ٢/ ١٧٧ بنحوه ، وأغلب الظن أنه نقل القول منه .

(٤) شرح ديوانه ٩٣ ، وورد البيت الثاني في مجاز القرآن ١/ ٣٥٠ ، والنوادر في اللغة ٥٤٠ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣١ والحجة للقراء ٥/ ٧٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٧ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٩٩ ، وابن عطية ٨/ ٣٠٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٧ ، واللسان (سقي) ٤/ ٢٠٤٣ ، والألوسي ١٤/ ٣١ . (صوبه) مصاب مطره ، (الشَّثَّ) شجر من شجر السراة ، (قلل) أعالي ، (مجد) ابنة تيم بن غالب بن فهر ، وهي أم كلاب وكعب وعامر بني ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(فسقى قومي) ليس يريد به ما يُروي عِطَاشهم ، ولكن يريد رزقَهم سَقْياً لبلادهم يُخْصِبُون بها ، وبعيدٌ أن يسأَلَ لقومه ما يُروي العطاش ، ولغيرهم ما يُخْصِبون منه[١] ، فأما سَقْيَا السَقِيَّة ، فلا يقال فيها أسقَاهُ ، وأما قول ذي الرُّمَّة :

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كادَ مِمّا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُني أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُه[٢]

فمعنى (أسقيه) أدعو له بالسُقيا ، وأقول : سَقاه الله» .

وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ﴾ يعني لذلك الماء المنزل من السماء ، ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾ ؛ أي بحافظين ، يقول ليست خزائنه بيدكم .

٢٣. قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ يعني إذا مات جميع الخلائق لم يتبق سواه ؛ كقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ الآية [مريم :٤٠] . قال أهل المعاني : «لمَّا كان يزول مُلْكُ كلِّ مَلِكٍ بموته -ويكون اللهُ عزوجل المالكَ الحيَّ وَحْدَه- كان هو الوارث لجميع[٣] الأملاك[٤]» .

ومعنى ورث : تَمَلَّك ما كان يملكه الميت قبله ، وأملاك الخلائق تبطل وتزول بموتهم ، ويبقى الـمُلك خالصاً لله وحده ، فكان وارثاً من هذا الوجه .

---

(١) الحجة للقراء ٥/ ٧٥ بتصرف .

(٢) ديوانه ٢/ ٨٢١ ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٥٠ ، والنوادر في اللغة ٥٤٠ ، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٢ ، والطوسي ٦/ ٣٢٩ ، وابن عطية ٨/ ٣٠١ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٧ ، واللسان (سقي) ٤/ ٢٠٤٢ . (أبثه) أي أخبره بكل ما في نفسي ، (ملاعبه) مواضع يُلعَبُ فيها .

(٣) في (أ) و(د) : بجميع ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المنسجم مع السياق .

(٤) ورد هذا المعنى في تفسير الطوسي ٦/ ٣٢٩ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٧ ، والخازن ٣/ ٩٤ .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ قال الليث : «تقول : استقدم ؛ أي تقدم ، وضده استأخر ؛ أي تأخر»[١] ، واختلف المفسرون في هذه الآية ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ يريد أهلَ طاعةِ الله ، و﴿ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ يريد عن طاعة الله»[٢] ، وهذا قول الحسن قال : «المستقدمون في الطاعة ، والمستأخرون عنها»[٣] .

وقال في رواية مِقْسَم : «المستقدمون الصف المستقدم ، والمستأخرون الصف المستأخر»[٤] ، وهذا قول الربيع ، قال : «حض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة ، فازدحم الناس عليه فأنزل الله هذه الآية»[٥] ، واختار الفرَّاء هذا القول ، وقال : «معنى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ﴾ أي إنَّا نجزيهم على نيّاتهم[٦] ، فإنا نعلم جميعهم» .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (قدم) ٣/ ٢٩٠٤ بمعناه .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٥ بنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ بمعناه ، والثعلبي ٢/ ١٤٧ب بنحوه ، وانظر : تفسير ابن العربي ٣/ ١١٢٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ١٨١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٤) رواه الحاكم ، تفسير الحجر ٢/ ٣٥٣ بنصه من طريق أبي الجوزاء (منقطعة بالجهالة) ، وانظر : تفسير ابن العربي ٣/ ١١٢٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٨ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، وقد أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٨ ، والطبري ١٤/ ٢٦ بنحوه ، من طريق واحد مسنداً إلى أبي الجوزاء .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٧ب بنصه ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٢ بلا سند ، وانظر : تفسير الألوسي ١٤/ ٣٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٦ عن أبي صالح عن ابن عباس ، ولا يعتد بمثل هذا في أسباب النزول .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٨ بنصه .

وقال الضحاك ومقاتل : «في صف القتال»[١] .

وقال في رواية أبي الجوزاء : «كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله ﷺ فكان قوم يتقدمون إلى الصف الأول لئلا يروها ، وآخرون يتأخرون ليروها -إذا ركعوا وجافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم- فأنزل الله هذه الآية»[٢] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٨ عنهما ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ عن الضحاك ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ عن مقاتل ، والخازن ٣/ ٩٤ عن مقاتل ، والدر المنثور ٥/ ١٨١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل ، والذي في تفسير مقاتل هو نفس القول الذي أخرجه الطبري عن الضحاك في الآية ؛ قال : «الأموات والأحياء» ، انظر : تفسير مقاتل ١/ ١٩٦ب ، والطبري ١٤/ ٢٤ ، والماوردي ٣/ ١٥٦ .

(٢) أخرجه بنصه تقريباً أحمد ١/ ٣٠٥ ، والترمذي (٣١٢٢) في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحجر ، وابن ماجه (١٠٤٦) في كتاب الصلاة ، باب الخشوع في الصلاة ، وابن خزيمة ٣/ ٩٧ في كتاب صلاة النساء في الجماعة ، باب التغليظ في قيام المأموم في الصف المؤخر إذا كان خلفه نساء ، والطبري ٤/ ٢٦ ، وابن حبان موارد الظمأن ٤٣٣ في كتاب التفسير ، باب الحجر ، ، والطبراني في الكبير ١٢/ ١٧١ ، والحاكم ٢/ ٣٥٣ في كتاب التفسير ، باب الحجر ، وصححه ووافقه الذهبي ، وسنن البيهقي ٣/ ٩٨ في كتاب الصلاة ، باب الرجل يقف في آخر صفوف الرجال ، وأسباب النزول للواحدي ٢٨١ ، كلهم من طريق نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ ، والثعلبي ٢/ ١٤٧ب ، والماوردي ٣/ ١٥٦ ، وابن عطية ٨/ ٣٠٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٥١ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٠ وزاد نسبته إلى أبي داود الطيالسي (٢٧١٢) ، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وانظر : شرح المسند ٢/ ٢٧٨ ، وصحيح ابن ماجه (٢٤٧٢) . اختلف العلماء في تصحيح الحديث ؛ فصححه ابن خزيمة والحاكم والذهبي وشاكر والألباني ، وقد أَعَلَّ الترمذي الحديثَ بالإرسال ؛ ورجح وقفه على أبي الجوزاء ، وتبعه القرطبي وقال : «هو الصحيح» ، واعتمده ابن كثير وقال : «حديث غريب جداً وفيه نكارة شديدة» ، وقد ناقش الألباني المضعفين للحديث ، فبَّين أن الإعلال مردود بورود الحديث موصولاً في مسند الطيالسي ورجاله ثقات ، وأما الغرابة فمنفية لورود روايات عدة للحديث -ذكرها- في أن الآية نزلت في صفوف الصلاة ، أما النكارة الشديدة التي ذكرها ابن كثير ، فلعله يقصد مضمون الرواية ؛ أنها توهم طعناً في الصحابة ، وجوابه : «إذا ورد الأثر بطل النظر» ، ولأن هذا المسلك يفتح باباً لرد كثير من الأحاديث ، ويمكن دفع التهمة عن الصحابة بتخصيص الخبر على بعض المنافقين أو حديثي العهد بالإسلام .
انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٧٢) .

وعلى هذا القول معنى ﴿ عَلِمْنَا ﴾ : الوعيد والمحاسبة ، وروي عنه أيضاً أنه قال : «المستقدمون الأموات ، والمستأخرون الأحياء»[١] ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد قال : «من مضى من الأمم السالفة ومن بقي ؛ وهم أمة محمد ﷺ»[٢] ، وقال عكرمة : «المستقدمون من خلق ، والمستأخرون (من يخلقه بعد)»[٣][٤] ، وعلى قول هؤلاء معنى ﴿ عَلِمْنَا ﴾ التمدح بالعلم ؛ لأن علمه شامل لأعداد من مضى ومن بقي ، ومن خلقه ومن سيخلقه في ما بقي .

٢٦. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ قال ابن عباس وغيره : «يعني آدم»[٥] ، والكلام في وزن الإنسان واشتقاقه قد تقدم في أول الكتاب ؛ عند قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ [البقرة :٨] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٨ بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٢٣ ، ٢٤ بنحوه من طريق قتادة عن ابن عباس ، ومن طريق العوفي (غير مرضية) ، وأخرجه ـ كذلك ـ عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ بمعناه عن قتادة ، والثعلبي ٢/ ١٤٧ب بنصه عن ابن عباس ، وبنحوه عن قتادة ، وانظر : تفسير ابن العربي ٣/ ١١٢٧ عن ابن عباس وقتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩ عنهما ، وأبي حيان ٥/ ٤٥١ عنهما ، وابن كثير ٢/ ٥٦٩ عنهما ، والدر المنثور ٤/ ١٨١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) تفسير مجاهد ٣٤١ بنصه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٨ بنصه ، والطبري ١٤/ ٢٥ بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ بنحوه ، والماوردي ٣/ ١٥٦ بنحوه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، وابن العربي ٣/ ١١٢٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٥١ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) في معظم المصادر : (من لم يخلق) ، والمثبت في معناه ؛ لأن من يخلقه بعد ، أي في المستقبل ، هو ممن لم يخلق .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٨ بنحوه ، والطبري ١٤/ ٢٣ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٤٧ب بنصه تقريباً ، والماوردي ٣/ ١٥٦ بنحوه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٨ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٥١ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٧ بلفظه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، والماوردي ٣/ ١٥٧ بلفظه عن أبي هريرة والضحاك ، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ ، والطوسي ٦/ ٣٣٠ .

وقولــه تعالى : ﴿مِن صَلْصَلٍ﴾ ، اختلفوا في معنــاه ، فقال قوم : هو طين حر يصلصل إذا نقر ؛ لِيُبْسِــه ، يقال : صلَّ الحديدُ وغيرُه يَصِلُّ صليلاً ، وصلصل إذا صَوَّت ، ومنه قول لبيد :

كُلَّ حِرباءٍ إِذا أُكْرِهَ[1] صَلّ[2]

وأنشد ابن الأنباري[3] :

عَنْتَرِيسٌ تَعْدو إِذا مَسَّها السَّوْطُ كَعَــدْوِ الــمُصَلْصِلِ الجــوَّالِ[4]

---

(١) في النسخ جميعها : (أكرم) ، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر .

(٢) وصدره :

أَحْكَمَ الجُنْثِيُّ من عَوْرَاتِها

شرح ديوان لبيد ١٩٢ ، وورد في العين ٦/ ٩٩ ، والمعاني الكبير ٢/ ١٠٣٠ ، وجمهرة اللغة ١/ ١٤٣ ، ٣/ ١٣٢٢ وفيه : (نَعْتَها) بدل (عوراتها) ، وتهذيــب اللغة (حكم) ١/ ٨٨٦ ، و(صل) ٢/ ٢٠٤٦ ، واللسان (حرب) ٢/ ٨١٨ ، و(جنث) ٢/ ٦٩٦ ، و(صلل) ٤/ ٢٤٨٧ ، و(حكم) ٢/ ٩٥٢ ، والتاج (جنث) ٣/ ١٨٦ . (الجُنْثِــيُّ) بضم الجيم وكسرها ، وبالنصب وبالرفع ؛ فمــن قال : الجُنْثِيُّ بالرفع ونصب كلًّا أراد : الحــدّادُ أو الزَّرّادُ ؛ أي أحكم صنعة هذه الدِّرع ، ومن قال : الجُنْثِيَّ بالنصب ورفع كلًّا ـ وهي رواية الأصمعي ـ أراد : السيف ؛ يقول هذه الدِّرع لإحكام صنعتها تمنع السيف أن يمضي فيها ، وكل شيء أحكمته فقد منعته ، وأحكم هنا بمعنى رَدَّ ، (عوراتها) واحدها عورة ، وهي الفُتُوق والفُرَج في الدِّرع ، (الحِرْبَاءُ) مســمارُ الدِّرْع ، وقيل هو رأسُ المِسمار في حَلْقَةِ الدِّرْع ، (صلَّ) يقال صلَّ المسمارُ يصلُّ صَليلاً ، إذا ضُرب وأكره أن يدخل في الشيء فسمعت صوته .

(٣) البيت للأعشى .

(٤) ديوان الأعشى ١٦٥ ، وورد في اللسان (صلل) ٤/ ٢٤٨٦ برواية (الصوت) بدل (السوط) ، وفي مجاز القرآن :١/ ٣٥١ ، والكامل ٣/ ١٠٠ برواية : (حُرِّك) بدل (مســها) ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤١ (عجزه) ، وتفســير القرطبــي ١٠/ ٢١ (عجزه) . (عنريــس) : العَتَرَّس : الضخــم من الدواب ، والمقصود : الناقة الصلبة الغليظة ، الكثيرة اللحم ، الوثيقةُ الخلق ، وقد يُوصَف به الفرسُ . المحيط في اللغة (عترس) ٢/ ٢٥٠ ، ومتن اللغة ٤/ ٢١ .

قال يريد بالمصلصل الحمار المصوت ، وهـذا قول الفرَّاء[١] والزَّجَّاج[٢] وأبي عبيدة[٣] ، ونحوه قال الأخفش ، قـال : «وكل شيء له صوتٌ فهو صلْصالٌ من غير الطين»[٤] ، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي ، قال : «الصلصال : الطين اليابـس»[٥] ، وفي رواية إسرائيل[٦] : «الصلصال الذي إذا قُرِعَ صَوَّت»[٧] وروى عنه أبو صالح أنه الطين الحر الذي إذا نَضَب عنه الماء تشقق ، فإذا حُرّك تقعقع[٨] ، وهذا قول الحسن وقتادة في الصلصال .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٨ بمعناه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٨ بنحوه .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٥٠ بنحوه .

(٤) ليس في معانيه ، وهو في التهذيب بنصه ، والغالب أنه نقله منه . انظر : تهذيب اللغة (صل) ١٢/ ٢٠٤٦ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٨ من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٧ بنصه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٦ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبِيْعي الهمداني ، أبو يوسف الكوفي ، أحد الأعلام ، ثقة تُكُلِّم فيه بغير حجة ، اعتمده البخاري ومسلم في الأصول ، روى عن السدي وجَدِّه أبي إسحاق ، وعنه وكيع وأبو نعيم ، مات سنة ١٦٢هـ ، انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٤ ، والجرح والتعديل ٢/ ٣٣٠ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٨ ، وتقريب التهذيب ١٠٤ رقم (٤٠١) .

(٧) ورد في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٥٣ بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٣٠ بمعناه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٨) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨أ ، بنصه عن ابن عباس ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٨ عن قتادة بمعناه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ عن ابن عباس ، والخازن ٣/ ٩٤ عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الحسن .

قال المفسرون : «خلق الله آدم من طين فصوَّره ومكث في الشمس أربعين سنة حتى صار صلصالاً كالخزف لا يدري أحد ما يُراد به ، ولم يروا شيئاً من الصورة يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح»[1] .

(١) ما أشار إليه هنا جزء من خبر طويل مروي عن ابن عباس وبعض الصحابة ، أخرجه الطبري من طريقين ، وأشار إلى التعارض بين الروايتين ، ثم قال : «وهذا إذا تدبره ذو فهم ، علم أن أوله يفسد آخره ، وأن آخره يبطل معنى أوله» ، وأورد ابن كثير الروايتين ، وعقَّب على رواية ابن عباس ـ التي فيها أنه مكث أربعين ليلة جسداً ـ قائلاً : «هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها» ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور ، وقال بعد الرواية الأخرى التي فيها أنه مكث أربعين سنة جسداً : «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السُّدي ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم» . انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومابعدها ، والعظمة ٤٥٣ عن ابن زيد ، وتفسير السمرقندي ١/ ١٠٨ ، وابن كثير ١/ ٧٤ ومابعدها ، وأورد السيوطي في الدر المنثور :١/ ٩٣ـ ١٠٠ رواية ابن عباس ، وأورد الرواية الأخرى عن ابن مسعود وغيره ، وزاد نسبته إلى البيهقي وابن عساكر ١/ ١١٦ ، ومما يؤيِّد رد هذا القول ـ إضافة إلى انتقاد ابن جرير وابن كثير لأصل الخبر ـ التعارض بين الروايتين في المدة التي مكثها آدم قبل أن يُنفخ فيه الروح ، فإحدى الروايتين ذكرت أنها أربعين ليلة ، والأخرى ذكرت أنها أربعين سنة ، والغريبُ أن قضية مُكْث آدم مدة قبل نفخ الروح فيه ثابتة بالحديث الصحيح ، لكن دون تعيين هذه المدة أو مكان الـمُكث ـ في الظل أو الشمس . «فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لَمَّا صوَّر اللهُ آدمَ في الجنّة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عَرف أنه خُلِقَ خلقاً لا يتمالك» رواه مسلم (٢٠٦١١) في كتاب البر والصلة ، باب خلق الإنسان ، ومعنى لا يتمالك ؛ أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات ، وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بني آدم . صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦٤ .

وقال آخرون : الصلصال المنتن ، من قولهم : صلَّ اللحمُ وأصلَّ ، إذا أنْتَن وتغيَّر[١] ، ومنه قول الشاعر[٢] :

رَأَيْتُكُمُ بَنِي الْخَذْوَاءِ لَمّا دنا الْأَضْحَى وَصَلَّلَتِ اللِّحَامُ[٣]

وقال زهير :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فيها أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحْتَ الْكَشْحِ داءُ[٤]

---

(١) تهذيب اللغة (صل) ٢/ ٢٠٤٦ بنصه .

(٢) هو أبو الغُول الطُّهَوي شاعر إسلامي من بني طهيَّة .

(٣) ورد في نوادر أبي زيد ٤٣٣ وفيه : (أتى) بدل (دنى) ، وتهذيب إصلاح المنطق ٤١٦ ، واللسان (لحم) ٧/ ٤٠١٠ ، و(خذا) ١٤/ ٢٢٥ ، و(ضحا) ٥/ ٢٥٦٠ ، وورد بلا نسبة في إصلاح المنطق ١٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٦٠ ، والمذكر والمؤنث للأنباري ١/ ٢٦٣ ، وتهذيب اللغة (ضحا) ٣/ ٢٠٩٦ ، ومقاييس اللغة (عجز) ٣/ ٣٩٢ ، ومجمل اللغة (عجز) ١/ ٥٧٤ ، الصحاح (ضحا) ٦/ ٢٤٠٧ ، والمخصص ١٣/ ٩٩ ، ١٧/ ٢٦ . (الخذواء) المسترخية ، وأصل الخذا : استرخاءُ الأذن ، يقال : أذن خذواء : مسترخية ، (اللحام) جمع لحم ، (صلَّلت) أنتنت ، قال الشاعر البيت وهو يهجو قوماً ، يوضحه البيت الثاني وهو :

تَبَاعَدْتُمْ بِوُدكُمُ وقلْتُمْ لَعَكٌّ مِنْكَ أَقْرَبُ أو جُذَامُ

يقول لهم : لمَّا كثرت اللحوم فشبعتم واستغنيتم ، توليتم بودِّكم عنّي ، ومعنى قوله (لعكٌّ منك أقرب أو جذامُ) يريد أنهم أنكروه حين شبعوا ، وأظهروا أنهم لا يعرفونه ، فسألوه عن نسبه فقالوا : أأنت من جُذام أم من عك ؟ وهما قبيلتان من قبائل اليمن ، وهو من تميم ، وإنما أنكروه لئلا يقوموا بحقه ، فهو يصفهم بالبخل ، وإن كان الشيء الذي سألهم كثيراً عندهم .

(٤) شرح ديوان زهير ٨٢ ، وورد في العين ٧/ ٦٢ ، وجمهرة اللغة ٣/ ١٢٦٠ ، وتهذيب اللغة (لج) ٤/ ٢٧٣٢ ، و(أنض) ١/ ٢١٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٤٥ ، ٥/ ٢٠١ ، واللسان (لجج) ٧/ ٤٠٠٠ ، و(أنض) : (٧/ ١١٥) ، و(صلل) ٤/ ٢٤٨٧ ، والتاج (أنض) ١٠/ ١٠ . (لجْلَج) : ردَّد ، ومنه : لجْلج اللقمة في فيه ، أدارها من غير مضْغ ولا إساغة ، (أنيض) يقال : لحمٌ أنيضٌ : إذا بقي فيه نُهُوءة ؛ أي لم يَنْضَجْ ، وأَنَضْتُه إيناضاً ؛ أي أنضَجْتُه فنضِجَ ، (الكشح) قال الليث : هو ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخَلْف ، قال الأزهري : «هما كشْحان ؛ وهو موقع السيف من المتقلِّد» ، وقيل الكشْحان جانبا البطن من ظاهر وباطن ، وقيل غير ذلك ، يقول : أخذت هذا المال ، فأنت لا تأخذه ولا تردُّه كما يُلجلجُ الرجلُ المضغة ، فلا يبتلعها ولا يلقيها . انظر : تهذيب اللغة (كشح) ٤/ ٣١٤٦ .

قال ابن الأنبـــاري : «والأصل في صَلْصَال صَلال ، فأبدلت الصاد من اللام الثانية ، ومنه كثـــير» ، وهو قول مجاهد ، قال : «الصلصـــال المنتن»[١] ، واختاره الكسائي[٢] .

وقولـــه تعالى : ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ ، قال ابن الأنبـــاري : «(من) هاهنا مفسرة لجنس الصلصال ؛ كما تقول : أخذت هذا من رجل من العرب» .

وأما : الحَمَأُ ، فقال الليث : «الحَمَأةُ بوزن فَعَلة والجميع الحَمَأُ[٣] ، وهو الطين الأسود المنتن»[٤] .

---

(١) الذي ورد في تفســير مجاهد ٣٤١ قال : «الصلصال الطين ، والحمأ المسنون المنتن» ، ورواية الواحدي أخرجهـــا الطـــبري ١٤/ ٢٨ بلفظها ، ووردت في تفســـير هود الهـــواري ٢/ ٤٤٧ بلفظه ، والثعلبي ٢/ ١٤٨أ بلفظه ، والماوردي ٣/ ١٥٧ بلفظه ، والطوسي ٦/ ٣٣١ بلفظه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٦ .

(٢) ورد في تفســـير الثعلبي ٢/ ١٤٨أ ، وتفســـير البغـــوي ٤/ ٣٧٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ٢١ ، والخازن ٣/ ٩٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٠ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٣ ، والدر المصون ٧/ ١٥٦ .

(٤) ورد في العين ٣/ ٣١٢ بنصه ، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٨ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ بنصه ، والماوردي ٣/ ١٥٧ بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٠ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، أبي حيان ٥/ ٤٤٣ ، والدر المصون ٧/ ١٥٦ .

وقال أبو عبيدة والأكثرون : «حَمَأ[١] تقديرها : حَمْأة»[٢] ، وأنشد لأبي الأسود[٣] :

لَعَمْرُكَ ما الـمَعِيْشَةُ بِالتَّمَنّي وَلكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ
تَجِيْءُ بِمِلْئِها طَوْراً وَطَوْراً تَجِيْءُ بِحَمْأَةٍ وَقَليلِ ماءِ[٤]

---

(١) في النسخ جميعها : (حمأة) ، والتصويب من المصدر .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٤١٣ وعبارته : «قال : (من حَمَأ) ؛ أي من طين متغير ؛ وهو جميع حَمْأة» ، وضبطها المحقق بالتسكين ، وهو الموافق للبيت الذي استشهد به ، وهو القائل : «ولا يُعرف في كلام العرب الحمْأة إلا ساكنة الميم» ؛ كما في تفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٣ ، والدر المصون ٧/ ١٥٦ ، لكن الغريب أن صاحب اللسان نسب إليه تحريكها ، فقال : «وقال أبو عبيدة : واحدة الحَمَأ حَمَأة ؛ كقَصَبة واحدة القَصب» ، وتبعه صاحب التاج . انظر : اللسان (حمأ) ٢/ ٩٨٦ ، والتاج ١/ ١٤٠ فلعلهما وَهِمَا .

(٣) أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدُّؤلي البصري التابعي ، أول من أسس النحو ووضع قواعده وأول من نقط المصحف ، محدث فقيه شاعر سريع الجواب ، كان ثقة في الحديث روى له البخاري ومسلم ، حدَّث عن علي وعمر وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وشهد صفين مع علي ـ رضي الله عنه ـ مات سنة ٩٩هـ . انظر : أخبار النحويين البصريين ٣٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ٢١ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٥ ، وإنباه الرواة ١/ ٤٨ ، وتقريب التهذيب ٦١٩ رقم (٧٩٤٠) ، والبغية ٢/ ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٢٦ ، وورد في المذكر والمؤنث للأنباري ١/ ٤١١ برواية :
فما طلب المعيشة بالتّمنّي تجِئْكَ بِملْئها يوماً ويوماً
وورد البيت الثاني فقط في مجاز القرآن ١/ ٤١٣ كرواية المذكر بخلاف (تجيء) ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤٣ كرواية الواحدي بخلاف (يجئك بملئها) ، والدر المصون ٧/ ١٥٦ كالواحدي بخلاف (بملئها) .

والجمع حَمَأ ، كما يقال تَمْرة وتَمْر ، ونَخْلة ونَخْل ، والحَمَأُ أصله المصدر ، نحو الجَزَع والهَلَع ، ثم يُسَمَّى به ، ولا يعرف في كلام العرب الحَمْأَة إلا ساكنة الميم[١] ، وهذا هو الصحيح ، وقول الليث وهْم ، ويُذْكر الفعل من هذا الحرف عند قوله : ﴿ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف :٨٦] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ قال ابن السِّكِّيت : «سمعت أبا عمرو يقول في قوله : ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ ؛ أي متغيِّر»[٢] ، قال أبو الهيثم : «يقال : سُنَّ الماء فهو مَسْنُون ؛ أي تغيِّر»[٣] ، وقال ابن قتيبة : «المسنون المتغير الرائحة»[٤] ، وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة :٢٥٩] قال أبو عمرو الشيباني : «أي لم يتغير ، من قوله : ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾»[٥] ، ذكرنا ذلك سورة البقرة : ٢٥٩ .

قال الفرَّاء : «المسنون المتغيِّر ؛ كأنه أخذ من : سَنَنْتُ الحَجَر على الحَجَر ، إذا حككته عليه ، والذي يخرج من بينهما يقال له : السَّنِين[٦] ، وسُمِّي المِسَنُّ مِسَنّاً ؛

(١) انظر : العين (حمو) ٣/ ٣١٢ ، والمقصور والممدود للفرَّاء ٤٩ ، والمحيط في اللغة (حمو) ٣/ ٢٢٩ ، والصحاح (حمأ) ١/ ٤٥ ، والمفردات ٢٥٩ ، والأساس ١٤٠ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٥١٨ ، ومتن اللغة ٢/ ١٥٧ ، وقد وردت متحركة في العباب الزاخر للصغاني : أ/ ٤٥ قال : «الحَمَأُ والحَمَأَةُ : الطينُ الأسودُ ،» وكذا وردت ساكنة ومتحركة في التاج (حمأ) ١/ ١٤٠ ، ونسب تحريكها إلى أبي على القالي في كتابه المقصور والممدود (لم أقف عليه) ، وقال : «الحَمَأُ : الطين المتغيِّر ، مقصورٌ مهموزٌ ، وهو جمع حَمَأَة ، كما يقال قَصَبَةٌ وقَصَبٌ» ، ومثله قال أبو عبيدة ، ثم قال : «وقال أبو جعفر : وقد تُسَكَّن الميمُ للضرورة في الضرورة ، وهو قولُ ابن الأنباري» .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (سن) ١٢/ ٣٠١ بنصه . والغريب أنه أورد قولين لأبي عمرو لكنه نسب عبارة التهذيب لابن السِّكِّيت ـ كما ذكرها الأزهري ـ ولم ينسب عبارة إصلاح المنطق ـ التالية ـ لابن السكيت .

(٣) تهذيب اللغة (سن) ١٢/ ٣٠١ بنصه .

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢٣٨ بلفظه .

(٥) إصلاح المنطق ٣٠٢ بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٧٧٨ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٧٧٨ بنصه .

لأن الحديد يتغير بِحَكِّكَ عليه»[١] ، وعلى قوله يجب أن يكونَ المسنونُ المحكوكَ لا المتغيرَ ، وهذا القول في الحمأ المسنون يقوي قول مجاهد في الصلصال ؛ أنه المنتن ، ومن قال : الصلصال الذي له صوت ، قال : صُوِّرَ آدمُ من حمأ مسنون ثم جف فصار صلصالاً ، هذا الذي ذكرنا أحد الأقوال في المسنون ، واختار الزَّجَّاج هذا القول ؛ «مسنون : مُتَغَيِّر ، وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق ، لأنه إنما يتغير إذا قام بغير ماءٍ جارٍ»[٢] .

وقال أبو عبيدة : «الْمَسْنُون المصبوب[٣] ، والسَّنُّ الصبُّ يقال : سنَّ الماءَ على وجهه سناً»[٤] ، وقال سيبويه : «المسنون المصوَّر على صورة ومثال ، من سُنَّة الوَجْه ، وهي صورته»[٥] .

وروي عن ابن عباس أنه قال : «المسنون الطين الرطب»[٦] ، وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة ؛ لأنه إذا كان رطباً يسيل وينبسط على الأرض فيكون مسنوناً ؛ كأنه مصبوب .

---

(١) تهذيب اللغة (سن) ٢/ ١٧٧٨ بمعناه ، وقد نسبه الأزهري للفرَّاء ، ولم أجده في معانيه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٧٧٨ بنصه .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٥١ بلفظه .

(٤) تهذيب اللغة (سن) ٢/ ١٧٧٨ بنحوه .

(٥) لم أقف عليه في الكتاب ، وهذه العبارة مطابقة لما في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨أ والظاهر أنه اقتبسها منه ، وتفسير الرازي ١٩/ ١٨٠ ، والشوكاني ٣/ ١٨٥ .

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ٣٠ بلفظه ، من طريق علي بن أبي طلحة (أصح الطرق) ، وورد في تهذيب اللغة (سن) ٢/ ١٧٧٨ بنحوه ، والبغوي ٤/ ٣٧٨ بنحوه ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٨ ، والرازي ١٩/ ١٨٠ ، والقرطبي ١٠/ ٢١ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

٢٧. قولــه تعالى : ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ الآية . اختلفــوا في الجآن مَنْ هو ؟ فقال عطــاء عن ابن عبــاس : «يريد إبليس»[١] ، وهو قول الحســن وقتادة ومقاتل ، وقال ابن عباس : «الجــآن هو أبو الجن»[٢] ، وهو قول عامة المفسرين ، وسُمِّي جاناً لتواريه عن الأعين ، كما سُمِّي الجِن جنّاً لأنهم يتوارون عن أعين الناس ، والجنين متوار في بطن أمه ، ومعنى الجان في اللغة : الســاتر ، من قولك جنَّ الشيء إذا ستره[٣] . فالجان الذي ذكر هاهنا يحتمل أنه سُمِّي جانّاً لأنه يستر نفسه عن أعين بني آدم ، أو يكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول ، كما يقول في : لابن وتامر ، وماءٍ دافق ، وعِيشة راضية ، وقد ذكرنا في مواضع[٤] .

وقوله تعالى : ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس : «يريد من قبل خلق آدم»[٥] .

وقولــه تعــالى : ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ اختلفــوا في معنــى (الســموم) ، فقال ابن عباس في رواية الكلبي : «هي نارٌ لا دخان لها ، والصواعق تكون منها ، وهي

---

(١) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩٦ب بلفظه ، والثعلبي ٢/ ١٤٨أ ، عن قتادة ومقاتل ، والماوردي ٣/ ١٥٨ عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ عن قتادة ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٩ عن الحسن ، وقتادة ومقاتل ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٠ عنهم ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٣ عن الحسن ، والخازن ٣/ ٩٥ عن قتادة ، وتفســير أبي حيان ٥/ ٤٥٣ عن الحســن وقتادة ، والدر المنثور ٤/ ١٨٣ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) ورد بنصه في تفســير الثعلبــي ٢/ ١٤٨أ ، والماوردي ٣/ ١٥٨ ، وانظر : تفســير البغوي ٤/ ٣٧٩ ، وابن الجــوزي ٤/ ٣٩٩ من طريق أبي صالح ، والفخر الــرازي ١٩/ ١٨٠ ، والخازن ٣/ ٩٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٥٣ ، وتنوير المقباس ٢٧٧ ، وورد غير منســوب في تفســير السمرقندي ٢/ ٢١٨ ، وأبي السعود ٥/ ٧٤ ، والشوكاني ٣/ ١٨٩

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جنَّ) ١/ ٦٧١ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٤١٠ ، والصحاح (جنن) ٥/ ٣٠٩٤ .

(٤) منها عند تفسيره آية [٤٥] من سورة الإسراء .

(٥) تنوير المقباس ٢٧٧ بنصه ، وورد غير منســوب في تفســير مقاتل ١/ ١٩٦ب ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ ، والثعلبــي ٢/ ١٤٨أ ، والماوردي ٣/ ١٥٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٩ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ٢٣ ، والخازن ٣/ ٩٥ .

نار بين السماء وبين الحجاب ، فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أُمرت ، والهدَّة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب»[١] ، ونحو هذا القول سواء رَوَى الفرَّاء عن الحسن[٢] .

وقال آخرون : من نار الريح الحارة ، وهو قول ابن مسعود ، قال : «هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان ، وتلا هذه الآية»[٣] .

وعلى هذا فالريح الحارة فيها نار ، ولها لفح وأُوار[٤] ، على ما ورد في الخبر أنها من لفح جهنم ، ومعنى السموم في اللغة : الريح الحارة تكون بالنهار وقد تكون بالليل ، قيل : سُميت سموماً لدخولها بلطف في مسام البدن ، وهي الخروق الخفية التي تكون في جلد الإنسان ، يبرزُ منها عَرقُهُ وبُخار باطنه[٥] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٣ ، وورد منسوباً إلى الكلبي ـ نفسه ـ في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٠ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٨ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٣٠ بنصه ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٤٧ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨أ بنصه ، والطوسي ٦/ ٣٣١ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٣ ، والخازن ٣/ ٩٥ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٥ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٣ ، ١٨٤ وزاد نسبته إلى الطيالسي والفريابي وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في الشعب ، ولم أقف عليه فيهما .
هذا القول ورد موقوفاً على ابن مسعود (كما في المصادر السابقة) ، وروي عنه مرفوعاً في مسند البزار البحر الزجار ٥/ ٢٥٠ وإسناده ضعيف كما أشار إلى ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٨ ، وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعاً كما في تفسير الشوكاني ٣/ ١٨٩ ، ١٩٠ ، والألوسي ١٤/ ٣٤ .

(٤) الأُوار بالضم : شدَّةُ حر الشمس ولفح النار ووهجها والعطش ، وقيل الدُّخان واللهبُ . اللسان (أور) ١/ ١٦٩ .

(٥) انظر : المنتخب من غريب كلام العرب ١/ ٤٢٣ ، وتهذيب اللغة (سم) ٢/ ١٧٦٢ ، و(سمم) في الصحاح ٥/ ١٩٥٤ ، واللسان ٤/ ٢١٠٢ ، وعمدة الألفاظ ٢/ ٢٥٦ .

قال الفرَّاء : «يقال أَسَمَّ يومنا هذا ، إذا كانت فيه السموم ، وإنه ليوم مُسِمٌّ ، والعرب تقول : مَسْمُوْمٌ ، ولا يُقَال : قد سُمّ ، قال : وسمعت من يقول : قد سُمَّ يومنا»[١] .

٢٩. [٢] قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ قال الكلبي : «يقول جمعت خلقه يعني عدلت صورته وسويته بالصورة الإنسانية»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء ، والروح جسم رقيق يحيا به البدن ، ونذكر الكلام فيها عند قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء :٨٥] إن شاء الله ، ولمَّا أجرى الله -عز وجل- الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح ؛ كأن قد نفخ فيه الروح ، وأضاف روح آدم إليه تكرمةً لِما كَرَّمه وشَرَّفه ، وهي إضافة الملك .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ أمر من الوقوع ، قال الكلبي : «فَخروا له ساجدين سجدة تحية ولم تكن سجدة طاعة» ، ونحو هذا قال جميع المفسرين[٤] ، وذكرناه وجه كيفية سجود الملائكة لآدم في سورة البقرة[٥] ، ومعنى سجود التحية قد ذكرناه في قوله : ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف :١٠٠] .

---

(١) لم أجده في معانيه ، وبعض هذا الكلام ورد في التهذيب منسوباً إليه . انظر : تهذيب اللغة (سم) ٢/ ١٧٦٢ .

(٢) لم يفسر الآية : [٢٨] .

(٣) ورد مختصراً بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ٣١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ ، والطوسي ٦/ ٣٣٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٠ وابن الجوزي ٤/ ٤٠٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤ ، والخازن ٣/ ٩٥ ، والشوكاني ٣/ ١٨٦ بنحوه .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ٣١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٩ ، والثعلبي ٢/ ١٤٨أ ، والطوسي ٦/ ٣٣٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤ ، والخازن ٣/ ٩٥ .

(٥) آية [٣٤] .

٣٠. قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ قال الخليل وسيبويه : «(أجمعون) توكيد بعد توكيد»[١] .

وسُئل أحمد بن يحيى عن التوكيد بكلهم ثم بأجمعين في هذه الآية ، فقال : «لَمَّا كانت كلهم تحتمل شيئين تكون مرة اسماً ومرة توكيداً ، جاء بالتوكيد الذي لا يكون إلا توكيداً»[٢] . وسُئل المبرِّد عنها فقال : «لو جاء : فسجد الملائكة ، احتمل أن يكون سجد بعضهم ، فجاء بقوله : ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ لإحاطة الأجزاء ، ولو جاء (كلهم) من غير ذكر أجمعين ، لاحتمل أن يكونوا سجدوا كلهم في أوقات مختلفة ، فجاءت (أجمعون) ليدل أن السجود كان منهم كلهم في وقت واحد ، فدخلت (كلهم) للإحاطة ودخلت (أجمعون) لسرعة الطاعة»[٣] .

وهذا معنى ما حكاه الزَّجَّاج عنه ، فقال : «وقال محمد بن يزيد : (أجمعون) يدل على اجتماعهم[٤] بالسجود ، فسجدوا كلهم في حال واحد ، ثم قال : وقول سيبويه والخليل أجود ؛ لأن أجمعين معرفة ، فلا تكون حالاً»[٥] .

---

(١) لم أقف عليه في الكتاب ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٩ بنصه عنهما ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٨٠ بنصه عنهما ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٩ بنصه عن الخليل ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٠٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ ، وتفسير الخازن ٣/ ٩٥ .

(٢) في النسخ جميعها : (توكيد) وهو خطأ نحوي ظاهر ، وقد ورد قوله في تهذيب اللغة (كل) ٤/ ٣١٧٨ بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٤/ ٣١٧٨ بنصه تقريباً ، وورد مختصراً في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ١/ ٣٨٣ .

(٤) في (ج) : (اجماعهم) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٩ بنصه ، ويؤكد هذا أنه لو كان حالاً لا تأكيداً للزمه النصب ، كما أن الحال تكون نكرة و(أجمعون) معرفة . انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩٧ .

قال النحويون : (كل) و(أجمعون) إذا أُكِّدَ بهما وجب تقديم (كل) على (أجمعين)[١] ؛ لأن كلاً قد تستعمل مبتدأة كقولك : كلهم منطلقون ، ولا يجوز أن يقول : أجمعون [منطلقون ، فلما كانت (كل) قد استعملت مبتدأة ليس قبلها ما تتبعه ، وكان أجمعون][٢] لا تستعمل إلا تابعاً ، وجب أن تتقدم الأقوى ؛ أعني (كل وأجمعون) من ظَرِيْفِ المعرفة ؛ لأن أجمع بمنزلة زيد ؛ في أن كل واحد منهما تعريفه بالوضع دون الألف واللام ، ودون الإضافة ودون الإشارة ، فإذا جمعته كان أيضاً معرفة ؛ لأن جمعه أقيم مقام إضافته ، وكان الأصل أن يقول : مررت بالقوم بأجمعهم ، فحذف لفظ الضمير وأقيم الجميع[٣] بالواو والنون مقامه ؛ وذلك أن أجمع على وزن أفعل ، ومن شرط أفعل إذا أضيف إلى شيء أن يكون بعضه ، فلو قالوا : مررت بالقوم أجمعهم ، لتُوهِّم أن[٤] أجمع بعض القوم ، وإنما غرضهم أن يخبروا عن جميع القوم ، فلذلك عدلوا عن إضافة أجمع في اللفظ ، فأتوا بالواو والنون ليدلوا بذلك على استغراق المذكورين .

٣١. وقوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أجمعوا على أن إبليس كان مأموراً بالسجود لآدم ، واختلفوا في أنه هل كان من الملائكة أم لا ؟ على ما ذكرنا في سورة البقرة ، فمن قال : كان من الملائكة ، جعل هذا الاستثناء من الجنس ، ومن قال : لم يكن ، جعله من الاستثناء المنقطع كما ذكرنا في سورة البقرة ، ومن جنس هذا يأتي الكلام عند قوله : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف :٥٠] إن شاء الله .

---

(١) انظر : شرح ابن عقيل ٣/ ٢٠٩ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ١/ ٣٨٠ ، وأوضح المسالك ٣/ ٣٣١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) (ش) و(ع) : (الجمع) .

(٤) (أن) ساقطة من (أ) و(د) .

٣٢. قوله تعالى : ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ ﴾ قال أبو إسحاق : «موضع (أن) نصب باسقاط (في) وإفضاء الناصب إلى (أن) ، المعنى : أيُّ شيءٍ يقع لك في أن لا تكون»[١] .

٣٣. وقوله تعالى : ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لحماً ودماً ، وإبليس رُوحاني لا لحم ولا دم» .

٣٤. وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد من جنة عدن ، وقيل من السموات»[٢] ، وذكرنا هذا في سورة الأعراف[٣] ، ومعنى الرجيم قد مضى ذكره في هذه السورة[٤] .

٣٥. قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد يوم الجزاء ، حيث يجازى العباد بأعمالهم[٥] ؛ مثل قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة :٤]» ، وقال الكلبي : «يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب[٦] ؛ لأنه أول من عصى الله» ، وقال أهل المعاني : «إن الله -عز وجل- قد لعنه والمؤمنون لعنة لازمة إلى يوم الدين ، ثم يحصل حينئذ على الجزاء بعذاب النار ، فمعنى التوقيت بيوم الدين ، أنه يكون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٩ بنصه .

(٢) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٦ ، والخازن ٣/ ٩٦ ، وهو قول غريب ؛ لأن الآيات صريحة على أنهم -آدم وحواء وإبليس- كانوا في الجنة ، ومنها أخرجوا واهبطوا ، لا من مطلق السماء .

(٣) آية : [١٣] .

(٤) آية [١٧] .

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٣ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٨ بمعناه .

(٦) ورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٤٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨١ غير منسوب للكلبي ، والخازن ٣/ ٩٦ .

ملعوناً مبعداً عن رحمة الله من غير عذاب النار إلى يوم الدين ، ثم يضم له عذاب النار مع اللعنة يوم الدين» .

٣٨. قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد النفخة الأولى حين تموت الخلائق»[١] ، قال الكلبي : «إذا نفخ النفخة الأولى مات الخلائق كلهم ومات إبليس معهم»[٢] ، وإنما سمي الوقت المعلوم ؛ لأنه[٣] تموت (فيه الخلائق وإبليس ، واسْتَنْظر إبليس)[٤] إلى[٥] يوم القيامة لئلا يموت ؛ إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد ، فلم يُجَبْ إلى ذلك ، وقيل له : (إلى يوم الوقت المعلوم) ، وهو آخر أيام التكليف .

٣٩. قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ قال أبو عبيدة : «معنى الباء هاهنا القَسَم»[٦] ، وقال غيره : «هي بمعنى السبب»[٧] ؛ أي بكوني غاوياً لأزينن لقولك ؛ بمعصيته لَيَدْخُلُنَّ النار ، وبطاعته ليدخلنَّ الجنة ، والكلام في الإغواء وفي هذه الباء ، وأكثر هذه القصة مذكور في سورة الأعراف[٨] .

---

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٦٠ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، وفيهما : (إبليس) بدل (الخلائق) ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧ بنصه ، والألوسي ١٤/ ٤٨ ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨١ غير منسوب لابن عباس ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٥٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في النسخ جميعها (لا) فقط ولا معنى له ، والمثبت تصويب من تفسير الوسيط ٢/ ٣٥٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) في (أ) و(د) : (إذ) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٥١ بنحوه ، وتقديره : بالذي أغويتني .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣١٣ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣١٤ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩٨ ، والخازن ٣/ ٩٦ ، وأبي السعود ٥/ ٧٨ ، والألوسي ١٤/ ٤٩ .

(٨) آية [١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني : لأولاد آدم ، ومفعول التزيين محذوف على تقدير : لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه .

٤٠. قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ؛ أي الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم لك عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد ، ومن فتح اللام[١] فمعناه : الذين أخلصهم الله بالهداية والتوفيق والعصمة ، قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد الذين عصمتَهم وأخلصتَهم وأخلصوا لك»[٢] ، قال المفسرون : يعني المؤمنين[٣] ؛ وذلك أنه لا سلطان لإبليس على المؤمن بالإغواء ، وإنما يكون سلطانه على من عدل عن الهدى ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ [النحل :١٠٠] ، فكأن إبليس قال : لأزينن لهم ولأغوينهم أجمعين ، إلا من عصمته بالإخلاص فإني لا أقدر على إغوائه .

---

(١) هم نافع وعاصم وحمزة والكسائي . انظر : السبعة ٣٤٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٠٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٠٩ ، وشرح الهداية ٢/ ٣٧٥ ، والإتحاف : ٢٧٤ .

(٢) لم أقف عليه بنصه ، وفي تنوير المقباس : «قال : المعصومين مني» . ٢٧٨ .

(٣) أخرجه الطبري عن الضحاك ١٤/ ٣٣ بلفظه ، وذكره الثعلبي ٢/ ١٤٨ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٨١ ، والخازن ٣/ ٩٦ .

٤١. فقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني: الإخلاص والإيمان طريق عليَّ وإليَّ؛ أي إنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي فهو طريق عليَّ، وهذا معنى قول مجاهد قال: «الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يُعَرِّج على شيء»[١]، ونحو هذا قال الحسن: «يقول: هذا صراط إليَّ مستقيم»[٢]، فعلى هذا الإشارة في قوله تعود إلى ذكر الإخلاص، وقال الفرَّاء: «يقول مرجعهم إليَّ فأجازيهم، لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]» قال: «وهذا كما يقول في الكلام: طريقك عليَّ فأنا على طريقك، لمن أوعدته»[٣]، فهذا معنى قول الكلبي[٤]، والكسائي قال: «فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إليَّ فأجازي كلاً بأعمالهم»[٥]، وعلى هذا الإشارة في قوله: ﴿هَٰذَا﴾ يعود إلى طريق العبودية.

---

(١) تفسير مجاهد ٣٤١ بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ٣٣ بنصه، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٦، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٩٤، والماوردي ٣/ ١٦١، وانظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨، والخازن ٣/ ٩٦، والدر المنثور ٤/ ١٨٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ومعنى (لا يعرِّج على شيء)؛ أي لا يميل، لقولهم: عرَّج النهرَ؛ أي أماله، وعرَّج عليه؛ أي عَطَفَ انظر: التاج (عرج) ٦/ ٩٤، وقد ذكر ابن القيم قول مجاهد هذا وقال: «وهذا مثل قول الحسن وأبين منه، وهو من أصح ما قيل في الآية». التفسير القيم ١٥، وقول الحسن الذي أشار إليه هو التالي لهذا القول.

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ٣٤ بنحوه، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٦١، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٩، والخازن ٣/ ٩٦. ذكر ابن القيم قول الحسن ثم قال: «وهذا يحتمل أمرين؛ أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض؛ فقامت أداة (على) مقام (إلى)، والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى؛ وهو الأشبه بطريق السلف؛ أي صراط موصل إليَّ». التفسير القيم ١٥.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٩ بتصرف يسير.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب بنصه، وانظر: تفسير الشوكاني ٣/ ١٨٨، وصديق خان ٧/ ١٧٠، وأورد ابن القيم قول الفرَّاء السابق ونسبه للكسائي، وقال: إنه على التهديد والوعيد؛ تريد إعلامه أنه غير فائت لك ولا معجز، ثم ردَّه قائلاً: والسياق يأبى هذا، ولا يناسبه لمن تأمله. انظر: التفسير القيم ١٦.

وقال بعض أهل المعاني : لـــمَّا ذَكر إبليسُ أنه يغـــوي بني آدم إلا من عصمه الله بتوفيقه ، تضمن هـــذا الكلام تفويض الأمر إلى الله تعالى وإلى إرادته[١] ، فقال الله تعالى : ﴿ هَـٰذَا ﴾ أي تفويض الأمر إلى إرادتي ومشـــيئتي طريق عَليَّ مستقيم ، ويؤكد هذا التأويل قراءة مَنْ قرأ : (عُلِيَّ) بضم الياء[٢] ، وهو مدح لذلك الطريق ؛ أي أن طريق التفويض والإيمان بالقَدَر طريق رفيع مستقيم[٣] .

٤٢. قوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ قـــال ابن عباس : «استأثر الله عباداً واصطنعهم لنفسه ، فأخبر إبليسَ باصطناعه إيّاهم» ، وقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ أي قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال . وقال سفيان بن عيينة : «هؤلاء ثنية[٤] الذين هداهم واجتباهم»[٥] ، وقال الكلبي : «هؤلاء هم الذين استثنى إبليس»[٦] .

---

(١) ذكر الفخر الرازي هذا الكلام بنصه قائلاً : «قال بعضهم» ، تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٩ .

(٢) هـــم : قيس بن عباد ، وابن ســـيرين ، وقتادة ، ويعقـــوب وغيرهم ، والقراءة مـــن العشر ، وفي إيراد ابـــن جني لها في المحتســـب ما قد يوهم أنها شـــاذة وليس كذلك . انظر : تفســـير الطبري ١٤/ ٣٣ ، والمحتسب ٢/ ٣ ، الـمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٠ ، والنشر ٢/ ٣٠١ .

(٣) انظر : تفســـير الطبري ١٤/ ٣٣ مختصراً عن ابن ســـيرين ، وعلل القراءات :١/ ٢٩٦ ، الـــمُوضح في وجـــوه القراءات ٢/ ٧٢٠ ، وتفســـير الفخر الرازي ١٩/ ١٨٩ وقد نقل هذا القول بنصه ونســـبه للواحدي .

(٤) أي استثناء ، ومنه قول كعب : «الشهداء ثنية الله في الأرض ، يتأول قول الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر :٦٨]» ، فالذين استثناهم من الصعق ـعند كعبـ الشهداء . انظر : تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ .

(٥) ورد في تفســـير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب ، بنصه وهو جزء من قوله ؛ قال : «معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهـــم في ذنب يضيق عنـــه عفوي ، وهؤلاء ثنية الله . .» ، تفســـير البغـــوي ٤/ ٣٨٢ ، وابن عطية ٤/ ٤٠٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٨ ، والخازن ٣/ ٩٦ .

(٦) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٠ .

٤٣. قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قال ابن عباس: «يريد إبليس وأشياعه ومن تبعه من الغاوين»[١].

٤٤. ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قال: «يريد لها سبعة أطباق؛ طبق فوق طبق»، وقال الفرَّاء: «السبعة الأبواب أطباقٌ بعضها فوق بعض»[٢]، وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج[٣]، قال علي بن أبي طالب: «إن الله تعالى وضع النيران بعضها فوق بعض، فأبوابها كإطباق اليد على اليد»[٤]، ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾؛ أي من أتباع إبليس جزء مقسوم، الجزء بعض الشيء، والجميع الأجزاء، وجزأته: جعلته أجزاء[٥]، وهذا وعيد لأتباع الشيطان بالعذاب في جهنم بين أطباق النيران، قال الضحاك في هذه الآية: «هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض؛ فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون، والثاني فيه اليهود، والثالث فيه النصارى، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون»[٦].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٠، وورد نحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ٣٥، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٩ بنصه.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٣٥، ٣٦ بمعناه عن قتادة وابن جريج، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٣٨ عنهم، وتفسير البغوي ٣/ ٥١، والفخر الرازي ١٩/ ١٩٠ كلاهما عن ابن جريج.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد ١٩٢ بنحوه، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٧٣ بنحوه، والطبري: ١٤/ ٣٥ بنحوه من طرق عدة، والبيهقي في البعث ٢٦٨، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب، بنحوه، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٢، وابن عطية ٤/ ٤٠٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠، وابن كثير ٢/ ٦٠٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٥ وزاد نسبته إلى ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في صفة النار، وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (جزأ) ١/ ٥٩٥، والمحيط في اللغة (جزأ) ٧/ ١٥٢، والعباب الزاخر: أ/ ٣٣، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩١ نقل هذا القول بنصه بلا نسبة.

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ب بنصه، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٢، ٣٨٣، وابن عطية ٤/ ٤٠٣، =

٤٥. (قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد الخائفين من الله الموحدين الذين لم يتخذوا له شريكاً» ، وقال الكلبي عنه : «إن المتقين للفواحش والكبائر[١] ، ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ يعني : عيون الماء والخمر)[٢][٣]» .

٤٦. قوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ ؛ أي يقال لهم ادخلوها بسلام ؛ أي بسلامة ، قال ابن عباس : «سلموا من سخط الله وأَمِنُوا عذاب جهنم والموت»[٤] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ يُروى أن المؤمنين يُحبَسون على باب الجنة فيقتص لبعضهم ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نُقُّوا وهُذِّبوا[٥] ، فخلصت نياتُهُم من الأحقاد ، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الأعراف[٦] .

= والفخر الرازي ١٩/ ١٩٠ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم . لاخلاف في أن للنار سبعة أبواب ، لكنَّ تقسيم اهل النار على الأبواب بهذا التفصيل يفتقر إلى خبر صحيح عن الرسول ﷺ ، وهو ما لم أقف عليه ، ولم يذكره القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ولا ابن رجب في التخويف من النار .

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩١ ، والألوسي ١٤/ ٥٦ ، وورد بنحوه غير منسوب في : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٢ ، والخازن ٣/ ٩٧ .

(٢) هذا تخصيص بلا دليل ، والأولى حمله على عمومه ، فإن كان القصد البيان والتمثيل ، فيقال : عيون من الماء والخمر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٥٧ بنصه تقريباً .

(٥) يشير إلى الحديث الصحيح الوارد في ذلك ؛ قال رسول الله ﷺ : «إذا خلص المؤمنون من النار حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة» أخرجه البخاري (٢٤٤٠) في كتاب المظالم ، باب قصاص المظالم ، والطبري ١٤/ ٣٧ .

(٦) آية [٤٣] ، وانظر : البسيط تحقيق الفايز ٢/ ٦٦٥ .

وقوله تعالى : ﴿ إِخْوَٰنًا ﴾ قال الزَّجَّاج : «منصوب على الحال»[١] ، والكلام في الإخوان ذكرناه في قوله : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران :١٠٣]

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ ﴾ ، السَّريرُ معروف ، والعدد أسِرة ، والجميع السُّرُر[٢] ، قال أبو عبيدة : «يقال سُرُر وسَرر بفتح الراء ، وكل فعيل من المضاعف فإن جمعه فُعُل وفُعَل ؛ نحو : سُرُر وجُرُر ، وسُرَر وجُرَر»[٣] ، قال المفضل : «بعض تميم وكلب[٤] يفتحون ؛ لأنهم يستثقلون ضمتين متواليتين في حرفين من جنس واحد» ، وقال بعض أهل المعاني : السرير مجلس سُرُور ، قال الليث : «وسَريرُ العيش : مستقرُّه الذي اطمأنَّ عليه خَفْضُه ودَعَتُه»[٥] ، وأنشد :

وَفارَقَ مِنْها عِيشَةً غَيْدَقِيّةً وَلَمْ يَخْشَ يوماً أَنْ يَزُولَ سرِيرُها[٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٠ بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١ بنصه ، وانظر : المحيط في اللغة (سر) ٨/ ٢٤٠ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٥٨ ، والصحاح ٢/ ٦٨٢ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٥١ بتصرف .

(٤) قبيلة كلب هم بنو كلب بن وبرة بن تغلب ، بطن من قُضاعة ، من القحطانية ، كانوا ينزلون دُومة الجندل وتبوك وأطراف الشام ، وُلد له : ثور ، وكلد ، وأبو حُباحب ، ومن أضخم قبائل كلب : بنو كنانة بن بكر بن عوف ، ينتهي نسبهم إلى ثور بن كلب ، تفرع منها بطون ضخمة هم : بنو عدي ، وزُهير ، وعُليم . انظر : جمهرة أنساب العرب ٤٥٥ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٩٩١ .

(٥) تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١ بنصه ، وانظر : المحيط في اللغة (سر) ٨/ ٢٤٠ ، (الخَفْضُ) : نقيضُ الرَّفع ، وعيشٌ خَفْضٌ ؛ أي في دَعَةٍ وخِصْبٍ . انظر : المحيط في اللغة (خفض) ٤/ ٢٣٧ .

(٦) ورد غير منسوب في تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١ ، واللسان (سرر) ٤/ ١٩٩١ ، والتاج (سرر) ٦/ ٥١٥ . وورد برواية : (دَغْفَلِيَّةً) بدل (غيدقية) في الصحاح ٢/ ٦٨٢ ، ومجمل اللغة ٣/ ٦٩٢ . (غيدقية) ؛ يقال : ماءٌ غدق ، ومطرٌ مغدودقٌ : كثير ، والغيدقُ : الناعم . (دغفليَّة) ؛ الدغْفَلُ : الزَّمان الخَصِبُ ، وريشٌ دغفلٌ : كثيرٌ ، فالمعنى واحد بالروايتن . انظر : المحيط في اللغة (غدق) ٤/ ٥٢٨ ، و(دغفل) ٥/ ١٦٩ .

قال ابن عباس : «يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت والدُر ؛ السرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية[١] ، وما بين عدن إلى أيْلَة»[٢][٣] .

وقوله تعالى : ﴿ مُّنَقَـٰبِلِينَ ﴾ التقابل : التواجه ، وهو نقيض التدابر ، قال ابن عباس : «لا يرى[٤] بعضهم قفا بعض[٥] ، حيث ما التفت رأى وجهاً يُحبُّه[٦] يقابله» ، وقال مجاهد : «لا يرى الرجل من أهل الجنة قفا زوجته ولا زوجته قفاه[٧] ؛ لأن الأسرة تدور بهم كيفما شاؤوا حتى يكونوا في جميع أحوالهم متقابلين» .

---

(١) الجابية قرية من أعمال دمشق وبينها وبين حلب ستة فراسخ ، وبالقرب منها تلٌّ يسمى الجابية ، وفي هذا الموضع خطب عمر بن الخطاب ـرضي الله عنهـ خطبته المشهورة وهو في طريقه إلى إيليا . انظر : معجم البلدان ٢/ ٩١ ، والروض المعطار ١٥٣ .

(٢) أَيْلة : بفتح أوله ، على وزن فَعْلة ، مدينة على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر ـ الذي تشترك فيه الحدود المصرية والفلسطينية والأردنية والسعودية ، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام ، وقيل : هي مدينة اليهود الذين حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا ، قيل : وقد سميت بأيْلة بنت مدين بن إبراهيم ، وهي التي يطلق عليها اليهود اليوم : (ميناء إيلات) .
انظر : معجم ما استعجم ١/ ٢١٦ ، ومعجم البلدان ١/ ٢٩٢ ، وأطلس العالم ٢٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣ ، والخازن ٣/ ٩٧ ، والألوسي ١٤/ ٥٩ .

(٤) في (ش) و(ع) : (ألا يرى) ، بزيادة الألف .

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٩ وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وانظر : تفسير الشوكاني ٣/ ١٩٥ .

(٦) في (ج) : (يحييه) .

(٧) ليس في تفسيره ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٦٧ قال : «لا ينظر بعضهم في قفا بعض» ، والطبري ١٤/ ٣٨ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٨ بنحوه ، وانظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٤٥٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٩ وزاد نسبته إلى هناد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ النّصَبُ : الإعياءُ والتعب ، يقال نَصِبَ يَنْصَب ، وأنْصَبَنِي هذا الأمرُ[١] ، أي لا ينالهم فيها تعب ، قال ابن عباس : «مِثْلُ نصب الدنيا ؛ إذا مشى نصب ، وإذا جامع نصب»[٢] ، ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ قال : يريد خلوداً لا زوال فيه .

٤٩. قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾ أثبت الهمزة الساكنة في ﴿ نَبِّئْ ﴾ صورة ولم يثبت في ﴿ دِفْءٌ ﴾[٣] و﴿ جُزْءٌ ﴾[٤] ؛ لأن ما قبلها ساكن فهي تحذف كثيراً وتلغى حركتها على الساكن قبلها[٥] ، فـ ﴿ نَبِّئْ ﴾ في الخط على تخفيف الهمزة ، وليس قبل همزة ﴿ نَبِّئْ ﴾ ساكن ، فأخروها على قياس الأصل .

وقوله تعالى : ﴿ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لأوليائي ، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ : بهم» .

٥٠. ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ يريد لأعدائي .

---

(١) ورد بنحوه منسوباً لليث في تهذيب اللغة (نصب) ٤/ ٣٥٨١ ، وانظر : المحيط في اللغة (نصب) ٨/ ١٥٩ ، ومجمل اللغة ٣١/ ٨٧٠ .

(٢) انظر : تفسير الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٥٨ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾ [النحل :٥] .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر :٤٤] .

(٥) انظر : أدب الكاتب ٢٦٦ ، والاقتضاب ١٦٨ ، والقواعد الموحدة في الكتابة والإملاء ١٧ .

٥١. قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ هذه القصة قد مضى ذكرها في سورة هود[١] والضيف في الأصل مصدر ضاف يَضِيف ؛ إذا أتى إنساناً لطلب القِرى ، ثم يسمى به ، ولذلك وحد اللفظ وهم جماعة[٢] .

٥٢. ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ ؛ أي سلموا سلاماً ، فقال إبراهيم : ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ مختصر ، وشرحه في قوله : ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ ﴾ [هود :٦٩] إلى قوله : ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود :٧٠] ، وقد مر ، والوجل : الفزع ، قال الكسائي : «ومثله الواجل»[٣] .

٥٤. قوله تعالى : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ معنى (على) هاهنا الحال ؛ أي على حالة الكبر ، كقول النابغة :

عَلى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلى الصِّبَا[٤]

---

(١) آية : [٦٩] .

(٢) أصل الضيف مصدر بمعنى الميل ؛ ومنه ضافت الشمس للغروب ، أي مالت ، وضاف السهم إذا عدل عن الهدف ، ومنه الإضافة النحوية لأن فيها إضافة أحد الاسمين إلى الآخر على المجاز ، وسمي الضيف ضيفاً لميله إلى من ينزلُ به ، ولأن أصله مصدر استوى فيه الواحد والجمع ، وقد يجمع فيقال : أضيافٌ وضُيوفٌ وضِيفانٌ . انظر : المحيط في اللغة (ضيف) ٨/ ٥٢ ، ومجمل اللغة ١/ ٥٧٠ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٢ ، والمفردات ٥١٣ ، وعمدة الألفاظ ٢/ ٤٥٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) وعجزه :

وقُلتُ ألَمَّا أصْحُ والشَّيبُ وازعُ

ديوان النابغة الذبياني ٥٣ ، وورد في الكتاب ٢/ ٣٣٠ ، وجمهرة اللغة ٣/ ١٣١٥ ، والأضداد لابن الأنباري ١٤٠ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٠٦ ، واللسان (وزع) ٨/ ٤٨٢٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨١٦ ، والخزانة ٦/ ٥٥٠ . (المشيب) : الشيب ، (الصبا) : بالكسر والقصر ، اسم الصَّبوة ؛ وهي الميل إلى هوى النفس ، (أصح) : من الصحو ، وهو خلاف السكر ، (وازع) : ناهي وزاجر . يذكر الشاعر أنه بكى على الديار في حين مشيبه ومعاتبته لنفسه على طربه وصباه .

أي في ذلك الوقت ، ومعنى : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ أي بتغييره إيّاي عن حال الشباب التي أطمع فيها الولد إلى حال الهَرَمِ .

وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ استفهام تعجب ؛ كأنه عجب من الولد على كبره ، هذا معنى قول مجاهد[١] ، وفَتْحُ النون في (تُبَشِّرُونَ) قرأه العامة[٢] ، وهذه النون علامة للرفع ، والفعل غير معدى إلى مفعول ، وقرأ نافع بكسر النون[٣] ، وذلك أنه عُدِّي إلى المضمر المنصوب ؛ لأن المعنى عليه ، فاجتمع نونان[٤] ؛ إحداهما التي هي علامة للرفع ، والثانية المتصلة بالياء التي المضمر المنصوب المتكلم ، فاستثقل النونين فحذف أحدهما وأبقى الكسرة التي تدل على الياء المفعولة[٥] ، وأنشد أبو عبيدة لأبي حَيّة النُّمَيريّ :

أَبِالْمَوْتِ الَّذي لا بُدَّ أَنِّي مُلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي[٦]

---

(١) ونص قوله ، قال : «عجب من كبره وكبر امرأته» . وقد ورد في تفسيره ٤١٦ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ٤٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي . انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ١/ ٢٩٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٥ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والتيسير ١٣٦ ، المُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٢ .

(٣) وكذا ابن كثير ، لكنه شدَّد النونَ ، أما نافع فخففها . انظر : المصادر السابقة .

(٤) أي إن الأصل : (تُبَشِّرُونَنِي) .

(٥) انظر : علل القراءات :١/ ٢٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٠ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٢ .

(٦) ورد في مجاز القرآن ١/ ٣٥٢ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢١١ ، واللسان (أبي) ١/ ١٨ ، والدرر اللوامع ٢/ ٢١٩ ، والخزانة ٤/ ١٠٥ ، وورد غير منسوب في الكامل ٢/ ١٤٢ ، والمقتضب ٤/ ٣٧٥ ، والإيضاح العضدي ٢٦٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٦ ، والمنصف ٢/ ٣٣٧ ، والخصائص :١/ ٣٤٥ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٢ ، وشرح المفصل ٢/ ١٠٥ .

فاسقط النون التي هي علامة التأنيث في المخاطبة[١] ، وأنشد الفرَّاء والزَّجَّاج[٢] :

تَراهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكاً يَسُوءُ الفَالِياتِ إذا فَلَيْنِي[٣]

أراد فليننـي ، فحذف إحدى النونين ، قالا : والحذف بعد إدغام إحدى النونين (في الأخرى)[٤] كقراءة ابن كثير : (تُبْشِرُون) ، ثم حذفت إحداهما لثقل التضعيف كما قالوا : رُبَّما ورُبَمَا[٥] ، وكما قالوا : إنْك في إنَّك ، أنشد الفرَّاء[٦] :

لَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالمُرْمِلونَ إذا اغْبَرَّ أُفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالا

بِأَنْكَ الرَّبِيعُ وَغَيْثٌ مَرِيعٌ وَقِدْماً هُنَاكَ تَكُونُ الثِّمَالا[٧]

---

(١) فالأصل : (تخوفينني) .

(٢) البيت لعمرو بن مَعْدِ يكَرِب الزُّبيدي ت٢١هـ ، من أبيات ثمانية قالها في امرأةٍ لأبيه تزوجها بعده في الجاهلية .

(٣) شعر عمرو بن معدي كرب ١٨٠ ، وورد في الكتاب ٣/ ٥٢٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٠ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٥٢ ، وشرح شواهد الإيضاح (عجز) ٢١٣ ، والخزانة ٥/ ٣٧٢ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٥ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٦ ، والمنصف ٢/ ٣٣٧ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٤١ ، وشرح المفصل ٣/ ٩١ . (تراه كالثغام) الضمير يعود على الزوجة ، والثغام : واحده ثغامة ؛ وهو نبتٌ له نَوْر أبيض يشبَّه به الشيب ، وقيل نبتٌ يكون في الجبل يَبْيَضُّ إذا يبس ، (يُعلُّ) أي يطيَّب شيئاً بعد شيء ، وأصل العَلَلُ : الشُرْبُ بعد الشُرب ، (يسوء الفاليات) يَحزُنُهن ؛ لأنهن يكرهْن الشيب ، و (الفاليات) ؛ جمع فالية : وهي التي تفلي الشعَّر ؛ أي تُخْرج القمْلَ منه .

(٤) في (أ) و(د) : (والأخرى) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨١ بتصرف يسير .

(٦) البيتان من قصيدة لجنوب بنت العجلان بنِ عامر بن هذيل (شاعرة جاهلية) ترثي أخاها عمراً ذا الكلب ، الخزانة ١٠/ ٣٩٠ ، ونُسب ـخطأـ إلى كعب بن زُهير في الأزهية ٦٢ ، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١٥٣ ، ولم أجده في ديوانه .

(٧) ورد في شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٨٥ ، وفيه : (المُجْتَدُون) بدل (المرْملون) ، وأما البيت الثاني فورد برواية :

بأنَّك كنت الربيع المُغِيثَ لِمن يَعترِيك وكنت الثِّمالا

وورد البيت الثاني في الخزانة ١٠/ ٣٨٢ ، وشرح التصريح ١/ ٢٣٢ ، وفيهما : (ربيع) ، و(وأنْك) بدل =

قال أبو علي : «المحذوف النون الثانية ؛ لأن التكرير بها وقع ، ولم تحذف الأولى التي هي علامة للرفع ، وقد حذفوا هذه النونَ في كلامهم لأنها زائدة ، ولأن علامةَ الضمير الياءُ دونها ، ونظيرُ حذفهم لها من المنصوب حذفهم لها من المجرور في قولهم[1] :

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي[2]

= (وقدْماً) . وورد البيتان بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٠ ، والإنصاف ١٦٩ برواية (الصِّبْيَةُ) بدل (الضيف) ، واللسان (أنن) ١/ ١٥٦ ، والخزانة ٥/ ٤٢٧ ، وورد البيت الثاني فقط وبرواية (وأنْك) في أوضح المسالك ٦٦ ، والمغني ٤٧ ، وشرح الأشموني ١/ ٤٤١ . (والمرملون) هو من أرمل القوم ؛ إذا نفدَ زادهم ، (المُجْتدون) الطالبون ، (شَمالاً) الشَّمال ريحٌ تهبُّ من ناحية القُطْب ، وخصها بالذكر لأن وقتها تقل الأرزاق وتنقطع السُّبُل ويثقل فيه الضيف ، مما يجعل الجود فيه غاية لا تدرك ، (بأنْك ربيعٌ) ربيع الزَّمان ، (والغيثُ) المطر والكلأ يَنْبُت بماء السماء ، (مَرِيعٌ) خَصيب كثير النَّبات ، (الثِّمال) الذُّخر ، وقيل : الغِياثُ .

(١) اختلف في نسبته على أقوال ، انظرها في عزو البيت .

(٢) وعجزه :

ليس الإمامُ بالشَّحيح المُلْحِد

نُسب إلى حميد بن مالك الأرقط (من شعراء الدولة الأموية) في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (ملحق بأمالي القالي) ٣/ ٦١ ، واللسان (خبيب) ٢/ ١٠٨٧ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨٧ ، والخزانة ٥/ ٣٩٣ ، والدرر اللوامع ١/ ٢٠٧ .

ونُسب لحميد بن ثور في اللسان (لحد) ٧/ ٤٠٠٥ وليس في ديوانه .

ونسب لأبي بجدلة في شرح المفصل ٣/ ١٢٤ . وورد بلا نسبة في الكتاب ٢/ ٣٧١ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٧٣ ، والنوادر لأبي زيد ٥٢٧ ، والمحتسب ٢/ ٢٢٣ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٠ ، ورصف المباني ٤٢٤ ، وأوضح المسالك ٢٣ ، وشرح ابن عقيل ١/ ١١٥ ، وشرح الأشموني ١/ ١٤٨ . الشاهد في : (قدني) و(قدي) أثبت نون الوقاية في الأول على الأصل ، وحذفها في الثاني على الضرورة ، وهو تأكيد للأول ، (قدني) : بمعنى حسبي ، وأراد (بالإمام) : عبدالملك بن مروان ، وعرَّض بوصف ابن الزبير بكونه شحيحاً ؛ أي بخيلاً ، وأراد (بالخبيبين) : عبدالله بن الزبير ـ لأنه كان يكنى أبا خُبَيب ـ وأخاه مصعباً ، على التغليب .

فحذف وأثبت في بيت ، وقال الأعشى في حذف هذه النون اللاحقة مع الياء :

فهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيَادِي البِلا دَ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ[1]

وإنّما هو يمنعَنّني[2] ، وأما ابن كثير فإنه أدغم ولم يحذف»[3] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس : «يريد بما قضاه الله»[4] ؛ يريد أن الله تعالى قضى أن يخرج من ذريته مثل ما أخرج من صلب آدم وأكثر ، وذلك أن إسحاق كان هو الذي بُشِّر به إبراهيم ، ومن نسله جميعُ بني إسرائيل على كثرتهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ ؛ أي من الآيسين ، والقنوط : الإياس من الخير ، وهذا يدل على يأس إبراهيم من الولد واستبعاده ذلك على الكبر .

٥٦. قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ وقُرئ : ﴿ يَقْنَطُ ﴾ بفتح النون[5] ، قال أبو علي : «قنط يَقْنَطُ أعلى اللغات ، يدل على ذلك اجتماعهم في قوله :

---

(١) ديوان الأعشى ٢٠٥ ، وورد في الكتاب ٣/ ٥١٣ ، ٤/ ١٨٧ ، والمحتسب ١/ ٣٤٩ ، وشرح المفصل ٩/ ٤٠ ، والدرر اللوامع ٥/ ١٥١ . (ارتيادي) ؛ الارتياد : المجيء والذهاب ؛ أي لا يمنع من الموت التجول في آفاق الأرض حذراً منه ، ولا الإقامة في الديار تقرّبه قبل وقته . الدرر اللوامع ٥/ ١٥٢ .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٤٥ ، ٤٦ بنصه .

(٣) لذلك شدَّد النون .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٧ ، وورد غير منسوب في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٦ ، والخازن ٣/ ٩٨ .

(٥) قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة . انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ١/ ٢٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٦ ، والحجة للقراء ٦/ ٤٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٣ .

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾[١] [الشورى :٢٨]» ، وحكاية أبي عبيدة تدل أيضاً على أن قَنَطَ أكثر[٢] ؛ لأن مضارع فَعَل (يجيء على يَفعِل ويَفعُل ؛ مثل : فَسَق يَفْسِقُ يَفْسُقُ ، ولا يجيء مضارع فَعِل)[٣] على يَفْعُلُ[٤] .

قال ابن عباس : «يريد : ومن ييئس[٥] من رحمة ربه إلا المكذبون»[٦] ، وهذا يدل على أن إبراهيم لم يكن قانطاً ، ولكنه استبعد ذلك ، فظنت الملائكةُ به قنوطاً ، فنفى ذلك عن نفسه ، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال .

٥٧. قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ ﴾ قال الكلبي : «فما بالكم وما الذي جئتم له»[٧] .

٥٨. ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴾ يعنون : قوم لوط .

---

(١) الحجة للقراء ٥/ ٤٧ بنحوه ، لكنه لم يجزم بأنها أعلى اللغات ، بل قال : «وكأنّ يقْنَطُ أعلى» .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٥٣ وليس في كلام أبي عبيدة ما يؤيِّد دعوى الواحدي ؛ إذ قال : «يقال : قَنَط يقنِط ، وقنِط يقنَط قنوطاً» ، وليس في هذا ترجيح لإحدى اللغتين .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) هذا التعليل في الحجة للقراء ٥/ ٤٧ بنصه .

(٥) في النسخ جميعها : (يأيس) وهو تصحيف ، ولم أجده في كتب اللغة ، قال اهل اللغة : يَئِسَ يَيْأَسُ ويَيِئِسُ لغات بمعنى القنوط . انظر : أدب الكاتب ٤٨٣ ، والكامل ٢/ ٧٥٤ ، واللسان (يأس) ٨/ ٤٩٤٥ ، ومتن اللغة ٥/ ٨٢٩ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٠ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٩ بنحوه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الخازن ٣/ ٩٨ .

(٧) ورد في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٠ ، وأغلب المفسرين فَسَّروه بنحوه . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٤١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢ ، والطوسي ٦/ ٣٤٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٦ ، والخازن ٣/ ٩٨ .

٥٩. ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ استثنى ليس من الأول[١] ، وآلُ لوط : أتباعه والذين كانوا على دينه .

٦٠. وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ استثناء من الضمير في ﴿ لَمُنَجُّوهُمْ ﴾ فعادت إلى القوم المجرمين ؛ لأنه استثناء بعد استثناء ، فتعود إلى المستثنى منه أولاً ؛ كما تقول : لفلان عليَّ خمسة إلا درهمين إلا درهماً ، فيصير هذا إقراراً بأربعة[٢] .

---

(١) أشار الزمخشري إلى أن الاستثناء إما أن يكون من قوم ـ وهو الأول ـ فيكون منقطعاً ؛ لأن آل لوط لم يندرجوا في القوم المجرمين ألبتة ، وعلى هذا فالإرسال خاص بالقوم المجرمين ، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً ، وإما أن يكون الاستثناء من الضمير المستكن في (مجرمين) ، فيكون متصلاً ؛ أي أجرموا كلهم إلا آل لوط ، وعلى هذا التأويل يكون الإرسال إلى المجرمين وإلى آل لوط ؛ أولئك لإهلاكهم ، وهؤلاء لإنجائهم . انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٠ ، والدر المصون ٧/ ١٦٧ ، وقد رجح الواحدي ـ رحمه الله ـ أنه استثناء متصل ، وأيَّد هذا الوجه المنتجب الهمداني وحجته أن آله من قومه ، وإن اختلفت أفعالهم ، لكن الجمهور على أنه منقطع ؛ لانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط . انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٩ وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٢٩ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٧١ ، والإملاء ٢/ ٧٦ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٠ .

(٢) وقد وافق الزمخشري على أنه استثناء من الضمير ، ولم يوافق على التعليل ؛ بدعوى أن الاستثناء بعد الاستثناء إنما يصح عند اتحاد الحكم ؛ كالمثال الذي ذكره الواحدي ـ رحمه الله ـ وكقول المطلِّق : أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة ، أما هنا فقد اختلف الحكمان ؛ لأن (آل لوط) متعلق بأرسلنا أو بمجرمين ، و(إلا امرأته) قد تعلق بمنجوهم ، فكيف يكون استثناء بعد استثناء ؟ ! يمكن اعتباره لو قيل : اهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته . انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٦ ، وذهب أبو البركات ابن الأنباري إلى أنه استثناء من النفي ؛ أي من (آل لوط) فيكون إيجاباً ؛ وذلك أن الاستثناء من الإيجاب نفي ، ومن النفي إيجاب ، وهنا استثنى آل لوط من المجرمين ، فلم يدخلوا في الإهلاك ، ثم استثنى من آل لوط امرأته ، فدخلت في الهلاك . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٧١ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٠ .

وقولــه تعالى : ﴿ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ معنــى التقدير في اللغة : جعل الشيء على مقدار غيره ، يقــال : قَدِّر هذا الشيء بهذا ؛ أي اجعله على مقداره[١] ، وقدَّر الإلهُ الأقواتَ ؛ أي جعلها على مقدار الكفاية ، ثم يفسر التقدير بالقضاء ؛ فيقال : قضى الله عليه كذا ، وقــدَّره عليه ؛ أي جعله على مقدار ما يكفي في الخير والــشر ، وقيل في معنى قدَّرنا هاهنــا : كتبنا[٢] ، وحكى الزَّجَّــاج : «دبَّرنا»[٣] ، وقيــل : «قضينا»[٤] ، وقرأ عاصــم في رواية أبي بكر[٥] : قَدَرْنــا مخففاً[٦] ، يقال : قدَّرت الشيء وقدْرته ، قال الهذلي :

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِساقِهــا فَخَــرَّتْ كَما تَتَّايَعُ الرِّيحُ بِالقَفْلِ[٧]

---

(١) انظر : المفردات ٦٥٨ ، و(قدر) في اللسان ٦/ ٣٥٧٨ ، والتاج ٧/ ٣٧٠ .

(٢) ورد منسوباً إلى علي بن عيسى في تفسير الماوردي ٣/ ١٦٤ ، وانظر : تفسير الطوسي ٦/ ٣٤٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨١ بلفظه .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب بلفظه ، وورد منسوباً إلى النخعي في تفسير الماوردي ٣/ ١٦٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٩٩ (نقل الفقرة كلها وبنصها من دون عزو) ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٧ ، والخازن ٣/ ٩٩ ، والشوكاني ٣/ ١٩٣ ، وصديق خان ٧/ ١٨١ .

(٥) شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحناط الأسدي الكوفي ، الإمام العلم راوي عاصم ، اختلف في اسمه كثيراً ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات ، قرأ عليه أبو الحسن الكسائي وغيره ، توفي سنة ١٩٣هـ ، انظر : معرفة القراء الكبار ١/ ١٣٤ ، وغاية النهاية ١/ ٣٢٥ ، وجمال القراء ٢/ ٤٦٥ .

(٦) انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات :١/ ٢٩٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٤ ، والنشر ٢/ ٣٠٢ .

(٧) شرح أشعار الهذليين ١/ ٩٢ ، وفيه : (لرِجْلِها) بدل (لساقها) ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ٤٩ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٣١ ، واللسان (تيع) ١/ ٤٦٠ ، و(قفل) ١١/ ٥٦١ ، وورد غير منسوب في المنصف ٣/ ٧٠ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٥ . (مفرهة) هي الناقة التي تلد الفُرْهَ ؛ النوق الجميلات ، (عَنْس) الناقة القوية ، شُبهت بالصخرة لصلابتها ، (تَتَّايع) ؛ التتايع : التهافت والإسراع ، (القَفْل) بالفتح ، ما يَبس من الشجر ، ومعنى البيت ، يقول : قدَّرت ضربتي لساق هذه الناقة القوية ـ التي تلد الملاح ـ فخرت وتهافتت كما تفعل الريح بورق الشجر اليابس .

المعنى : قَدَّرْتُ ضربتي لساقها فضربتها[١] فخرت ، ومن هذا قراءة ابن كثير : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ [الواقعة :٦٠] خفيفاً[٢] ، وقراءة الكسائي : ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[٣] [الأعلى :٣] ، والمشددة في هذا المعنى أكثر استعمالاً ،كقوله : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت :١٠] ، وقوله : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان :٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ في موضع مفعول التقدير ، والمعنى : قضينا أنها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون ، ولا تكون ممن يسري مع لوط فينجو .

٦١. قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ قال أهل المعاني : يعني جاء لوطاً ؛ كما قال في سورة هود ؛ في ذكر هذه القصة : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ [هود :٧٧] ، وآل الرجل يُذْكَر والمراد به الرجل ، كما ذكرنا في قوله : ﴿ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [البقرة :٢٤٨] .

٦٢. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ ؛ أي غير معروفين ؛ لأنهم أتوه على صورة رجال مرد حِسان[٤] الوجوه فلم يعرفوهم ، فلم يعرفهم لوط ، وذكرنا معنى الإنكار عند قوله : ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود :٧٠] .

---

(١) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٤٨ بنصه .

(٢) انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات :١/ ٢٩٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٤ .

(٣) انظر : السبعة ٣٦٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٤٨ ، وتلخيص العبارات ١٦٦ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٣/ ١٣٦٠ ، والنشر ٢/ ٣٩٩ .

(٤) في (ج) : (حسناً) .

٦٣. وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾؛ أي بالعذاب الذي كانوا فيه يَشُكّون في نزوله على من كَذَّبك؛ أن المعذب بهذا العذاب الذي جئتنا به هم لا أنت، ومعنى (بل) هاهنا نفي؛ لإنكار لوط إيّاهم؛ أي دع ذلك فإنا رسل ربك جئناك[1] بعذابهم، فلما بَيَّنُوا له الأمر عرفهم.

٦٤. وقوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ قال الكلبي: «بالعذاب[2]، وقيل باليقين»[3]، والمعنى: بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك.

٦٥. قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ مفسَّر في سورة هود[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: «يقول للوط اتبع آثار بناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحد فينالَه العذاب»[5]، وكذلك قيل: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ قال الكلبي: «يعني لا يتخلف منكم أحد»[6]، وقال الزَّجَّاج: «لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من البلاء»[7]، وقال غيره: «معناه الإسراع وترك الاهتمام

---

(١) في (ج): (جئنا).

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠١، أورد الفقرة كلها من دون عزو، وورد منسوباً لمجاهد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣١، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ٤٢، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢، والثعلبي ٢/ ١٤٩ب بلفظه، والطوسي ٦/ ٣٤٥، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨.

(٣) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ٤٢، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦، والزمخشري ٢/ ٣١٦، والنسفي ٣/ ٩٩، والخازن ٣/ ٩٩، وأبي حيان ٥/ ٤٦١، والشوكاني ٣/ ١٩٤، وصديق خان ٧/ ١٨٢.

(٤) آية: [٨١].

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠١.

(٦) ورد في تنوير المقباس ٢٧٩، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢، والشوكاني ٣/ ١٩٤، وصديق خان ٧/ ١٨٣.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٢ بنصه.

لِمَا خَلَّفَ وراءه»[١] ؛ كما يقول : امض لشأنك ولا تُعرِّج على شيء ، وهذا مما تقدَّم في سورة هود[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴾ قال ابن عباس : «يعني الشام»[٣] ، وقال المفضل : «حيث يقول لكم جبريل»[٤] ، قال الكلبي : «أمرهم جبريل : امضوا إلى صُغَر[٥] ؛ وهي إحدى قريات لوط[٦] ، ولم يكونوا يعملون مثل عمل سدوم» ، وهذا قول مقاتل[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الخازن ٣/ ٩٩ ، وأبي السعود ٥/ ٨٤ ، قال ابن عطية : «ونُهوا عن النظر مخافة الغفلة وتعلق النفس بمن خَلَّفَ ، وقيل : بل لئلا تتفطَّر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها وطرحها» . تفسير ابن عطية ٨/ ٣٣٥ .

(٢) آية : [٨١] .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب ، انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠١ ، والخازن ٣/ ٩٩ ، والألوسي ١٤/ ٦٩ .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠١ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٧ ، والخازن ٣/ ٩٩ .

(٥) في النسخ جميعها : (صفر) ، والمثبت أقرب للصواب ، والتصويب من تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب ، وهكذا ضبطه ياقوت ، وأشار إلى القصة ، بقوله : «وهي على البحيرة المقلوبة وبقية مدائن لوط ، وإنها نجت لأن اهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة» ، وكذلك ضبطها ابن كثير ؛ قال : «فذكروا أنه ذهب إلى قرية (صغر) التي يقول الناس (غور زغر) ، وقد ضبطت (صعرة) في تاريخ الطبري ، والروض المعطار في خبر الأقطار ، والحق أنه قد وقع اختلاف كبير في أسماء قرى لوط ـعليه السلامـ ولم يتفقوا إلا في اسم كبرى هذه القرى وهي : سدوم ، وتقع بأرض الشام ، لذلك قال السهيلي : «وسدوم أعظمها ، وقد ذُكرت الأسماء الأُخر ولكن بتخليط لا يتحصل منه حقيقة» . انظر : التعريف والإعلام ١٦٢ ، وتاريخ الطبري ١/ ١١٨ ، ١٢٢ ، ومعجم البلدان ٣/ ٤١١ ، تفسير القرطبي ٩/ ٨١ ، والكامل في التاريخ ١/ ٦٩ ، والروض المعطار ٣٠٨ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٦١٠ ، والبداية والنهاية ١/ ١٨١ ، والدر المنثور ٣/ ١٨٥ .

(٦) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٧ .

(٧) الذي في تفسيره ١/ ١٩٨أ . قال : «إلى الشام» ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب بمعناه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨ .

٦٦. قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ قال المفضل: «أي أوحينا إليه وألهمناه»[١]، وقال بعضهم: «وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر»[٢]، يقال: قضيت الأمر، إذا فرغت منه وأتممته، وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ في سورة البقرة[٣]، وقال ابن قتيبة: «أي أخبرناه»[٤].

وقال صاحب النظم: «أي فرغنا منه»[٥]؛ كقوله: ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ [يونس: ٧١] وقد مرَّ، ويقال: إن معنى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾: من الخبر؛ كقوله: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي أخبرناهم به.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾؛ أي الأمر الذي أعلمناه إبراهيم أنّا نهلكهم، في قوله: ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾، فأوما في قصة لوط إلى ما أخبر به إبراهيم من إهلاك قوم لوط، ثم ترجم قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ بقوله: ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ قال الزَّجَّاج: «موضع (أن) نصب، وهو بدل من قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ لأنه فَسَّر الأمر بقوله: ﴿ أَنَّ دَابِرَ ﴾[٦] المعنى: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع»، ونحو هذا قال الفرَّاء والكسائي[٧].

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إليه، وأخرجه الطبري منسوباً إلى ابن زيد ١٤/ ٤٣، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢، والماوردي ٣/ ١٦٥، وأبي حيان ٥/ ٤٦١، وأبي السعود ٥/ ٨٤، والشوكاني ٣/ ١٩٤.

(٢) ورد بنصه في تفسير الطبري ١٤/ ٤٢، والثعلبي ٢/ ١٤٩ب.

(٣) آية: [١١٧]، وانظر: البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٨٣أ.

(٤) الغريب لابن قتيبة: ٢٣٨ بلفظه.

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الخازن ٣/ ٩٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٢ بتصرف يسير.

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٠ بمعناه، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي.

قال ابن عباس : «يريد أن هلاكهم في الصبح»[١] ، ومضى الكلام في الدابر[٢] .

٦٧. قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ يعني مدينة لوط ؛ وهي سدوم ، ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ قال الكلبي وغيره : «بعملهم الخبيث طمعاً منهم في ركوبهم الفاحشة»[٣] .

قال ابن عباس : «قالوا نزل بلوط ثلاثة مرد ما رأينا قط أصبح منهم ، فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه :

٦٨. ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾» ، يقال : فضحه يفضحه فضحاً وفضيحة ، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار ، (يقال : فضحه فافْتَضَحَ[٤] ، قال الفرَّاء)[٥] : «ويقال فَضَحَك الصبح ، أي بَيَّنك للناس»[٦] ، قال المفسرون : أراد أن من حق الضيف إكرامُه ، فلا تفضحوني بقصدكم إيّاه بالسوء[٧] ، والكريم يحافظ على ضيفه ويحامي عنه ، وقال المفضل : «لما دَقُّوا على لوط بابَه[٨] أشرف عليهم وقال :

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٤٣ بنحوه ، من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة ، وتنوير المقباس ٢٧٩ .

(٢) سورة الأنعام [آية :٤٥] ، أورد أقوالاً في معنى الدابر ، فقال : «قال الأصمعي وغيره : الدابر الأصل ؛ يقال : قطع الله دابره أي أذهب أصله ، وقال ابن بزرج : دابر الأمر : آخره ، ودابر الرجل عقبه ، وقولهم : قطع الله دابره : دعاء عليه بانقطاع العقب حتى لا يبقى أحد يخلفه» .

(٣) ورد في تنوير المقباس ٢٨٠ مختصراً ، وتفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٢ بنصه غير منسوب ، وتفسير البغوي ٥/ ٣٨٧ ، وابن عطية ٨/ ٣٣٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٩ ، والخازن ٣/ ٩٩ .

(٤) انظر : جمهرة اللغة ١/ ٥٤٥ ، واللسان (فضح) ٦/ ٣٤٢٥ ، وعمدة الألفاظ ٣/ ٢٧٩ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من : (د) .

(٦) ليس في معانيه .

(٧) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٤٣ ، والثعلبي ٢/ ١٤٩ب ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٧ ، والخازن ٣/ ٩٩ ، وأبي السعود ٥/ ٨٥ ، والألوسي ١٤/ ٧١ .

(٨) في (أ) و(د) : (باب) من دون الضمير ، والمثبت من (ش) و(ع) .

هــؤلاء ضيفي فلا تفضحــوني عندهم ، فيعلموا أنــه ليس لي عندكم قَدْر»[١] .

٦٩. وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴾ مذكور في سورة هود[٢] .

٧٠. فقالوا لــه : ﴿ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال الكلبي وأكثر المفسرين : «المعنــى : أولم ننهك أن تَضِيف أحداً من العالمــين»[٣] ، قال الزَّجَّاج : معناه : «أولم ننهك عــن ضيافة العالمين»[٤] ، قال المفضل : «أولم ننهك أن تُدخل أحداً بيتك ؛ لأنّا نريد منهم الفاحشــة»[٥] ، والتفســير ذكره الكلبــي ، وتوجيه الكلام ذكره الزَّجَّاج ، والمعنى ذكره المفضل ، وقال ابن عبــاس في رواية عطاء : «لا تتعرض لنــا في شيء مما نريد» ؛ يعني أنهم قالوا نهيناك أن تكلمنا في أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشــة ، فيكون التقدير على هذا المعنى : أولم ننهك عن منع العالمين أو حفظهم أوحمايتهم ، فقال لهم لوط :

---

(١) ورد نحوه غير منســوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٣ ، وأبي السعود ٥/ ٨٥ ، والألوسي ١٤/ ٧١ .

(٢) آية : [٧٨] .

(٣) ورد في الغريب لابــن قتيبة ١/ ٢٤١ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ٤٣ بنصه منســوباً إلى قتادة ، وورد في تفســير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب بنصه غير منســوب ، وتفســير البغوي ٤/ ٣٨٧ ، والخازن ٣/ ١٠٠ ، وابن كثير ٢/ ٦١٠ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٣ بنصه .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الخازن ٣/ ١٠٠ .

٧١. ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ قال أبو إسحاق معناه : «إن كنتم مريدين لهذا الشَّأن[١] ؛ يعني اللذة وقضاء الوطر فعليكم بالتزويج ببناتي»[٢] ، قال قتادة : «أراد أن يقي أضيافه ببناته»[٣] ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصىً في سورة هود[٤] .

قال الحسن وقتادة : «هؤلاء بناتي تزوجوهن»[٥] ، ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ كناية عن الجماع .

٧٢. قوله تعالى : ﴿ لَعَمۡرُكَ ﴾ العَمْر والعُمْر واحد ، وسمي الرجل عمر إيغالاً أن يبقى[٦] ، ومنه قول ابن أحمر :

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ العَمْرُ[٧]

---

(١) في النسخ جميعها : البنتان ، والتصويب من المصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٣ بتصرف يسير .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٤٤ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٩ب بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . ويلزم من هذا القول جواز زواج الكافر من المؤمنة في شرعه ؛ كما كان جائزاً في بداية الإسلام حتى نسخ بآية الممتحنة [١٠] ، وقيل عرضهن عليهم شريطة الإسلام قبل عقد النكاح ، وقيل قصد بنات أمته ؛ لأن النبيَّ كالوالد لأمته ، وهو قول مجاهد ؛ ذكره معظم المفسرين .

(٤) آية [٧٨] .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٤٧ بلفظه عنهما .

(٦) تهذيب اللغة (عمر) ٣/ ٢٥٦٥ بنحوه ، وانظر : في التاج (عمر) ٧/ ٢٥٨ وعزاه للمحكم ، ولم أجده في بابه .

(٧) عجزه :

وتَغيَّرَ الإخْوانُ والدَّهْرُ

شعر عمرو بن أحمر الباهليك ٩٠ ، وورد في الاشتقاق ١٣ ، ومقاييس اللغة (خلف) ٢/ ٢١٢ وفيه : (وتنكَّر) ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٣ ، واللسان (عمر) ٥/ ٣١٠٣ ، والتاج (عمر) ٧/ ٢٥٨ وفيها : (وتَبدَّل) ، وورد غير منسوب في جمهرة اللغة ٢/ ٧٧٢ ، وفي الديوان وجميع المصادر برواية : (بان) بدل (ذهب) ، والمعنى واحد ، (بان) : بمعنى انقضى ومضى عصره ، (أخلف) : تغير ، (العَمر) : واحد العُمُوْر ؛ اللحم الذي بين الأسنان .

وعُمِّــر الرجلُ يَعْمُر عَمْــراً وعُمْراً وعُمُراً ، فإذا أقســموا قالــوا : لعَمْرُك وعَمْرِك ، ففتحوا العين لا غير[١] .

قال أبو إســحاق : «لأن الفتح أخف عليهم ، وهم يكثرون القسم (بِلَعَمْري ولعَمْرك) ؛ فلزموا الأخَفَّ عليهم»[٢] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد وعيشك يامحمد»[٣] .

وقال في روايــة أبي الجوزاء يقول : «بحياتك» ، وما حلــف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة النبيِّ ﷺ[٤] ، وهذا قول أكثر أهل التأويل من المفسرين وأصحاب المعاني ، قال الزَّجَّاج : «وفي هذا آية عظيمة في تفضيل النبيّ ﷺ» ، جاء في التفسير أنه أقســم بحياة محمد ﷺ[٥] . وقال بعض أهل المعاني : «إذا قيل : لعَمْرك ، فكأنه

---

(١) انظر : المقتضب ٤/ ١٧٧ ، وغرائب التفســير ١/ ٥٩٢ ، وتفســير ابن الجــوزي ٤/ ٤٠٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٣ ، وشرح المفصل ٩/ ٩٦ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٢/ ٩٤٣ ، و(عمر) في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٦٥ ، والمحكم ٢/ ١٠٥ ، واللسان ٥/ ٣٠٩٩ ، والتاج ٧/ ٢٥٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٣ بنصه تقريباً .

(٣) أورده البخاري ـ معلقاً ـ في صحيحه تفســير الحجر والفتــح ٨/ ٣٧٩ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ٤٤ بنحوه ، من طريق علي بن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٣ ، والماوردي ٣/ ١٦٦ ، وتفســير ابن الجــوزي ٤/ ٤٠٨ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، وأورده الســيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) أخرجــه بنحوه من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء أبو يعلى في مســنده ٥/ ١٣٩ ، والطبري في تفسيره ١٤/ ٤٤ ، والثعلبي في تفسيره ٢/ ١٥٠أ ، وأبو نعيم في الدلائل ١/ ٦٣ ، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤٨٨ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢ ، والماوردي ٣/ ١٦٦ ، وتهذيب اللغة (عمر) ٣/ ٢٥٦٤ بنصه ، وانظر : تفســير البغوي ٤/ ٣٨٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٨ ، وابــن عطية ٨/ ٣٣٨ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، وأورده عياض في الشــفا ٢/ ٨٧ ، والهيثمي في المجمع ٧/ ٤٦ وعزاه لأبي يعلى وقال : إســناده جيد ، وابن حجر في المطالب ٣/ ٣٤٦ وزاد نسبته للحارث ابن أبي أسامة ، والســيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٣ بنصه .

قيل ومدة بقائك حيّـاً»[١] ، وقال النحويون : ارتفع (لعمـرك) بالابتداء والخبر محذوف ، المعنى لعمرك قَسَـمي ، ولَعَمْرُك ما أُقْسِـمُ بـه ، وحُذِف الخبرُ لأن في الكلام دليلاً عليه ، وباب القَسَم يحذف منه الفعل نحو : بالله لأفعلن ، والمعنى : أحلف بالله ؛ فيحذف (أحلف) لعلم المخاطب بأنك حالف ، فكذلك يحذف خبر الابتداء[٢] .

وقال قتادة في قولـه : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ : «كلمة من كلام العرب»[٣] ، (يقولون في الإكرام والتبجيل ، قال أبو إسـحاق : «ولسـتُ أُحِبُّ هذا التفسير ؛ لأن قوله : كلمة من كلام العرب)[٤] لا فائدة فيه ؛ لأن القرآن كله من كلام العرب فلا بد أن يقال ما معناها»[٥] ، وحكى أبو الهيثم أن النحويين يقولون في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ : لَدِينُك الذي تعمر ، وأنشد[٦] :

أَيُّها الـمُنْكِحُ الثُّـرَيَّـا سُهَيْـلاً عَمْـرَكَ اللهَ كَيْـفَ يَـلْتَقِيَانِ[٧]

---

(١) قال القاضي عياض : «اتفق اهـل التفسير في أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ» . انظر : الشفا ١/ ٨٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٤ بنصه تقريباً ، انظر : المقتضب ٢/ ٣١٨ ، والإيضاح العضدي ٢٧٦ ، وشرح المفصل ٩/ ٩٩ ، والبسـيط في شرح جمل الزَّجَّاجـي ٢/ ٩٣٢ ، ٢/ ٩٤٣ ، والمحكم (عمر) ٢/ ١٠٥ ، وزاد المسير ٤/ ٤٠٨ ، والرازي ١٩/ ٢٠٣ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٤٤ بنصه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨أ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٣ بنصه .

(٦) البيت لعمر بن أبي ربيعة ت ٩٣هـ .

(٧) ديوانه ٤٣٨ ، وورد في الشعر والشـعراء ٣٧٤ وفيه (يجتمعان) بدل : يلتقيان ، والأغاني :١/ ٢٣٢ ، والصحاح (عمر) ٢/ ٧٥٦ ، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ١٠٨ ، والـروض الأنف ٣/ ١٣٥ ، وشرح المفصل ٩/ ٩١ (عجز) ، واللسـان (عمر) ٥/ ٣١٠٠ برواية : (يجتمعان) ، والخزانة ٢/ ٢٨ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٢/ ٣٢٩ ، والقرطبي ١٠/ ٤١ ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٢ ، والألوسي ١٤/ ٧٣ ، (كيف يلتقيان) : استفهام إنكاري تعجبي من تزويج الثريا بنت علي بن عبدالحارث ـ وكانت مشهورة بالحسن والجمال ـ بسهيل بن عبدالرحمن الزهري ـ وكان معروفاً بقبح منظره .

قال عَمْرك اللهَ ؛ أي عبادتك الله[١] .

وقال ابن الأعرابي : «عَمَرتُ ربي ، أي عبدته ، وفلان عامر لربه ؛ أي عابد» ، قال : «ويقال تركت فلاناً يَعْمُر ربه ؛ أي يعبده»[٢] ، فعلى هذا القول : العَمْرُ كالعمارة ، والعابد اللهَ عامرٌ لدينه ، فسُمِّيَ العابدُ عامراً ، ومعنى قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ ؛ أي لَعِبَادَتُك ، والمفسرون على القول الأول[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : أن قومك في ضلالهم يترددون»[٤] ، ثم رجع إلى ذكر قوم لوط في الآية الثانية ، وقال الكلبي وعامة المفسرين : «﴿ إِنَّهُمْ ﴾ يعني : قوم لوط[٥]» ، ﴿ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ : في جهلهم وعماهم يمضون ولا يرجعون منه .

---

(١) تهذيب اللغة (عمر) ٣/ ٢٥٦٤ بنصه ، وانظر : اللسان (عمر) ٥/ ٣١٠٠ ، والتاج ٧/ ٢٥٨ .

(٢) تهذيب اللغة (عمر) ٣/ ٢٥٦٥ بنصه ، والمحكم ٢/ ١٠٨ ، واللسان ٥/ ٣١٠٢ .

(٣) أي أنه قسم بحياة النبي ﷺ وهو قول الجمهور كما قال ابن العربي وعياض وأبو حيان .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٠أ بلفظه ، من دون الإشارة إلى المعني بالضمير ، وانظر : تفسير الوسيط ٢/ ٣٦٤ ، بنصه عن عطاء ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٩ مختصراً عن عطاء ، وإلى هذا ذهب الطبري ، فقال : «أي وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش ، لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون» ، وإليه ذهب السمرقندي . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٤٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٢ .

(٥) لم أقف عليه منسوباً ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٧ ، وابن عطية ٨/ ٣٤١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٩ وقال : «قاله الأكثرون» ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٢ ، وابن جزي ٢/ ١٤٨ ، وأبي السعود ٥/ ٨٦ ، وتنوير المقباس ٢٨٠ ، وخلاصة القول في الضمائر في الآية ثلاثة أقوال : الخطاب للرسول ﷺ والضمائر تعود على كفار قريش ، وهو قول الطبري والسمرقندي ، وحجتهم الأثر المروي عن ابن عباس وعلى هذا القول ، الآية كلها اعتراض في ما بين القصة ، وانتصر لهذا القول علي القاري شرح الشفا ١/ ٧٢ ، واستدلالهم بقول ابن عباس ـرضي الله عنهماـ ليس فيه دلالة وليس في محل النزاع ، فقول ابن عباس غايته أن القسم برسولنا ﷺ وليس بلوط . وليس هذا مختلفاً مع قول الجمهور الخطاب للرسول ﷺ والضمائر لقوم لوط ، وهو قول الجمهور ، وحجتهم ـ كما ذكر ابن عطية : عدم مناسبة السباق والسياق ؛ إذ يؤدي ذلك إلى انقطاع الضمائر ، وعليه فالقسم بنبينا ﷺ تشريفاً له ؛ لأن القصة تُقص عليه تعجيباً له من حال قوم لوط ، وإقحام القسم في أثناء الكلام وقص القصص أسلوب عربي معروف ، وهذا هو القول الراجح الخطاب للوط ، والضمائر لقومه ، وانفرد =

وقال مجاهد : «في غفلتهم يضطربون»[١] ، ومعنى السَّكرة هاهنا : غمور السهو والغفلة للنفس[٢] ، وذكرنا أصله في اللغة عند قوله : ﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ [الحجر :١٥] ، ومعنى العمه مذكور في سورة البقرة[٣] ، وقول ابن عباس : «إن قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إخبار عن مشركي قريش ، أليق بظاهر الآية»[٤] ؛ لأن[٥] قول العامة نحتاج فيه أن نحمل الآية على حكاية حال ماضية[٦] ؛ كقول الشاعر[٧] :

جارِيةٌ في رَمَضَانَ الماضي تُقَطِّعُ الحَدِيثَ بِالإيمَاضِ[٨]

وقد ذكرنا لهذا نظائر .

= به ابن العربي ، فقال : «ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذِكْر لوط إلى ذِكْر محمد ﷺ وما الذي يمنع أن يُقْسِم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ؛ فكل ما يعطي الله من فضل ويؤتيه من شرف فلمحمد ﷺ ضعفاه ؛ لأنه أكرم على الله منه . . فإذا أقسم الله بحياة لوط فحياة محمد أرفع ، ولا يُخرِجُ من كلامٍ إلى كلام آخر غيره لم يجر له ذِكرٌ لغير ضرورة» . تفسير ابن العربي ٣/ ١١٣٠ ، وقوله محتمل لولا ما في الآية من خطاب المواجهة .

(١) ليس في تفسيره ، ولم أقف عليه بنصه ، وأخرج عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ ، والطبري ١٤/ ٤٤ عن مجاهد قال : «يتردّدون» ، وكذلك ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٠أ .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٤٨ بنصه ، تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٨ عن الأعمش ، وتفسير البقاعي ٤/ ٢٣١ .

(٣) آيه : [١٥] ، وعندها قال : «ومعنى يعمهون : يتحيرون ، وقد عمه يعْمَه عَمَهاً فهو عَمِه إذا حار عن الحق» .

(٤) لكن أثر ابن عباس الذي يشير إليه ، ضعيف لأنه من طريق عطاء وهو منقطع .

(٥) في (أ) و(د) : (أن) والمثبت من (ش) و(ع) وهو الأصح .

(٦) وهذا القول هو الراجح ـ كما سبق .

(٧) هو رؤبة بن العجاج .

(٨) سبق عزوه .

٧٣. قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ يعني صيحة العذاب ، قال المفسرون : «صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم»[١] ، وقال أهل المعاني : «ويجوز أن يكون جاءهم صوت عظيم من فعل الله عز وجل»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ يقال : شَرَق الشَّارقُ يُشْرِق شُروقاً ، لكل ما طلع من جانب الشَّرق ،ومنه قولهم : ما ذَرَّ شارقٌ[٣] ؛ أي طلع طالع ، فيدخل في هذا الفجر والكواكب والشمس والقمر ، وأشرق له معان : أشرقت الشمس ؛ إذا أضاءت بعد طلوعها ، وأشرقت الأرض بضوء الشمس ، أضاءت ، ومنه أَشْرِقْ ثَبِيْرُ[٤] ، وأشرق القوم : دخلوا في وقت شروق الشمس[٥] ؛ مثل صَبَّحوا وأَمْسَوا ، والمفسرون على هذا في قوله : ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ قالوا : داخلين في الإشراق[٦] .

---

(١) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨أ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٠٩ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٣ ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٢ ، والشوكاني ٣/ ١٩٨ ، والألوسي ١٤/ ٧٤ ، وصديق خان ٧/ ١٨٧ .

(٢) انظر : تفسير الطوسي ٦/ ٣٤٨ بنصه .

(٣) مثل عربي ، وورد برواية : (لا أفعل ذلك ما ذَرَّ شارق) ، وبرواية : (لا آتيك ما ذرَّ شارقٌ) ، ومعناه : لا أفعله أبداً ، أو لا آتيك أبداً . انظر : الألفاظ الكتابية ١٨٦ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٧٣١ ، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٢ ، ومجمل اللغة ١/ ٥٢٧ ، والصحاح (شرق) ٤/ ١٥٠٠ ، والمستقصى ٢/ ٢٤٨ ، واللسان (شرق) ٤/ ٢٢٤٥ .

(٤) ثبير جبل بمكة ، وهذا مثل يضرب في الإسراع والعجلة ، ونصه : (أشرق ثَبِيرُ كَيْمَا نُغِير) ، والمعنى : ادخُلْ يا ثبير في الشروق كي نُسرع إلى الإغارة . انظر : المحيط في اللغة (شرق) ٥/ ٢٣٥ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٢ ، والمحكم (شرق) ٦/ ١٠٢ والمستقصى ١/ ٢٠٥ ، واللسان (ثبر) ١/ ٤٧٠ ، و(شرق) ٤/ ٢٢٤٦ .

(٥) انظر : جمهرة اللغة (شرق) ٢/ ٧٣١ ، والمحيط في اللغة ٥/ ٢٣٤ ، ومجمل اللغة ١/ ٥٢٧ ، والصحاح ٤/ ١٥٠١ ، والمحكم ٦/ ١٠١ ، واللسان ٤/ ٢٢٤٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، والطوسي ٦/ ٣٤٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤١ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٣٠٤ .

وقال الزَّجَّاج : «مصادفين لطلوع الشمس»[١] .

فإن قيل : أليس قد قال : ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴾ فوعدهم العذاب في وقت الصبح ، وهاهنا قال : ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴾ ؟ قيل إن جماعة من أهل المعاني قالوا في معنى ﴿ مُشۡرِقِينَ ﴾ : مصبحين ؛ لأنهم داخلون في شروق الفجر ، وهو شارق ، وأما على قول المفسرين فيقال : إن أول العذاب كان مع طلوع الفجر ، ثم امتد ذلك إلى وقت شروق الشمس ، فكان تمام الهلاك مع الإشراق .

٧٤. قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا ﴾ إلى آخر الآية ، مفسَّر في سورة هود [آية :٨٢] .

٧٥. قوله تعالى : ﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾ يقال : توسمت في فلان خيراً ، إذا رأيت فيه أثراً منه ، وتوسمت فيه الخير أي تَفَرَّست[٢] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٤ بنصه .

(٢) تهذيب اللغة (وسم) ٤/ ٣٨٩٣ بنصه .

واختلفت عبارة المفسرين وأهل المعاني في تفسير المتوسمين ، فقال ابن عباس في روايــة عطاء : «للمتفرســين»[١] ، وهو قول مجاهد[٢] والفــرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] وابن قتيبة[٥] .

وقال الضحاك : «للناظرين»[٦] ، وقال مقاتل وابن زيد : «للمتفكرين»[٧] .

---

(١) ذكره في الوسيط ، تحقيق ســيسي ٢/ ٣٦٥ ، وتنوير المقباس ٢٨٠ ، وورد غير منسوب في تفسير هود ٢/ ٣٥٣ .

(٢) تفســير مجاهــد ١/ ٣٤٢بلفظه ، وأخرجه الطــبري ١٤/ ٤٥ بلفظه من عدة طــرق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، والماوردي ٣/ ١٦٧ ، والطوسي ٦/ ٣٤٩ ، وتفســير البغــوي ٤/ ٣٨٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٢ ، وابــن الجوزي ٤/ ٤٠٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٢ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩١ بلفظه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٤ بلفظه .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٨/ ٢٤١ بلفظه .

(٦) أخرجــه الطــبري ١٤/ ٤٦ بلفظه من طريقــين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٥ ، وتفســير الســمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبــي ٢/ ١٥٠أ بلفظه ، والمــاوردي ٣/ ١٦٧ ، والطوسي ٦/ ٣٤٩ ، وانظر : تفســير ابن عطية ٨/ ٣٤٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ٤٣ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٣ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، وورد منســوباً إلى ابن عباس في تفســير الطبري ١٤/ ٤٦ بلفظه ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، وتفســير البغوي ٤/ ٣٨٨ ، والخــازن ٣/ ١٠٠ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) أخرجه الطبري ١٤/ ٤٦ بلفظه عن ابن زيد ، وورد في تفســير الثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، بلفظه عن مقاتل ، والمــاوردي ٣/ ١٦٧ عن ابن زيد ، وتفســير البغوي ٤/ ٣٨٨ عن مقاتــل ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ عنهما ، تفســير القرطبي ١٠/ ٤٣ عنهما ، والخازن ٣/ ١٠٠ عــن مقاتل ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٣ عنهما ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨أ ، والذي في تفسيره هو قول الضحاك .

وقال قتادة : «للمعتبرين»[١] ، وقال أبو عبيدة : «للمتبصرين»[٢] ، وأنشد لزهير :

وَفيهِنَّ مَلْهىً لِلَّطِيفِ وَمَنْظَرٌ أَنيقٌ لِعَيْنِ النَّاظرِ المُتَوَسِّمِ[٣]

قال أبو إسحاق : «وحقيقته في اللغة ؛ المتوسمون النُّظَّارُ المُتَثَبِّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء ، فالمتوسم : الناظر في السمة الدالة ، تقول توَسَّمْتُ في فلان ؛ أي عرفت ذلك فيه بالنظر»[٤] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ يعني مدينة قوم لوط ، وقد سبق ذكرها في قوله : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الحجر :٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ قال ابن عباس : «على طريق قومك إلى الشام»[٥] ، يريد لبسبيل معروف ، وقال قتادة ومجاهد والضحاك : «بطريق

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ بلفظه ، والطبري ١٤/ ٤٦ بلفظه من طريقين ، وأبي الشيخ في العظمة ٥٠ بلفظه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ١٦٧ ، والطوسي ٦/ ٣٤٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٣ ، والخازن ٣/ ١٠٠ ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٣ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٥٤ بلفظه .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٧ ، وورد في شرح القصائد السبع الطوال ٢٥٢ ، وورد برواية : (للصديق) بدل (للطيف) في تفسير الماوردي ٣/ ١٦٧ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٢٨٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٣ . (ملهى) اللهو أو موضعه ، (اللطيف) يعني نفسه ، يتلطف في الوصول إليهن ، (أنيق) المعجب ، (المتوسم) المتثبت ، وقيل : الناظر الذي يتفرَّس في نظره ، كأنه يطلب شيئاً من سِمته ، يعرفها به ، والوسامة : الحُسن .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٤ بتصرف يسير .

(٥) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٠ ، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠/ ٤٥ ، وهو قول مقاتل ١/ ١٩٨أ .

واضح»[١] ، ومعنـــاه : طريق لا يَنْدَّرس ولا يخفى ، فهو طريق مقيم للســـابلة[٢] والمارة ، ومعنى الآية : أن الاعتبار بها ممكن لأن الآثار التي يُسْتَدل بها مقيمة ثابتة بها .

٧٧. قولـــه تعـــالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن عبـــاس : «لعبرةً للمصدقين[٣] ، يريد أن أصحاب النَّبيِّ ﷺ اعتبروا وصدقوا» .

٧٨. قوله تعـــالى : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾ قال المفسرون : «هم قوم شعيب[٤] كانوا أصحابَ غِيَاض[٥] فكذبوا شعيباً فأهلكوا بعذاب يوم الظلة» ، وقد ذُكرتْ قصتهم في سورة الشعراء[٦] ، والأيْك الشجر الملتف ، يقال : أيْكة وأيْك ، كشجرة وشجر[٧] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٤٧ بلفظه عن قتادة ، وبنحوه عن مجاهد والضحاك ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٦ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٤ ، وتفسير ابن الجـــوزي ٤/ ٤١٠ ، عن قتادة ، الخـــازن ٣/ ١٠٠ عن مجاهد ، وأبي حيـــان ٥/ ٤٦٣ عن مجاهد وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦١١ عنهم ، والدر المنثور ٤/ ١٩٣ وزاد نســـبته إلى ابن أبي شـــيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٢) السَّـــابِلَةُ : الطريق المســـلوكة ، والناس المختلفون عليها في حوائجهم . انظر : تهذيب اللغة (ســـبل) ٢/ ١٦٢٢ ، والمعجم الوسيط ١/ ٤١٤ .

(٣) وهو قول مقاتل ١/ ١٩٨أ بنصه .

(٤) انظر : تفســـير مقاتل ١٩٨ب ، والطبري ١٤/ ٤٨ عن ابن جريج ، وتفســـير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبـــي ٢/ ١٥٠أ ، والمـــاوردي ٣/ ١٦٨ ، والطـــوسي ٦/ ٣٥٠ ، وتفســـير البغـــوي ٤/ ٣٨٨ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ .

(٥) جمع غَيْضَة ؛ أي الأَجَمَة : وهي مجتمع الشـــجر في مغيض ماء . المغيض : مصدر ، اســـم مكان ، انظر : جمهرة اللغة ٢/ ٩٠٧ ، والصحاح (غيض) ٣/ ١٠٩٧ .

(٦) الآيات : [١٧٦ـ١٨٩] .

(٧) انظر : جمهرة اللغة ٣/ ١٢٩٤ ، وتهذيب اللغة (أيك) ١/ ٢٣٩ ، وعمدة الحفاظ ١/ ١٦٢ ، والمصباح المنير ١٣ .

قال ابن عباس : «الأيك هو شجر الـمُقْل ، وهي التي يقال لها الدَّوْم»[١] .

وقال الكلبي : «الأيكة الغَيْضَة»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «هؤلاء أهل موضع كان ذا شجر»[٣] ، ومعنى (إن) و(اللام) التوكيد ، و(إن) هاهنا هي المخففة من الثقيلة .

٧٩. قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ قال المفسرون : «أخذها الحَرُّ أياماً ، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهَلَكوا عن آخرهم»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ يعني الأيكة ومدينة قوم لوط[٥] .

﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ : لبطريق واضح في قول عامة المفسرين[٦] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٤ ، وورد غير منسوب بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ب ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، والماوردي ٣/ ١٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٨ ، وأخرج الطبري عن ابن عباس قال : «الأيكة ذات آجام ـ جمع أَجَمَة ـ وشجر كانوا فيها» . تفسير الطبري ١٤/ ٤٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٣٠٤ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ٤٨ بلفظه عن الضحاك ، وكذلك في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٦ ، وورد غير منسوب في تفسير هود ٢/ ٣٥٤ ، والطوسي ٦/ ٣٥٠ ، والخازن ٣/ ١٠٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بلفظه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ب ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، وتفسير البغوي ٢/ ٣٨٩ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٤ ، والخازن ٣/ ١٠٠ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٤٨ ، وهود الهواري :/ ٣٥٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ وقال : قاله الأكثرون .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٤٩ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . وانظر : معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، والماوردي ٣/ ١٦٨ ، وتفسير البغوي ٢/ ٣٨٩ ، والزمخشري ١٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٥ ، وابن كثير ٢/ ٦١١ .

قال الفرَّاء والزَّجَّاج : «إنما جعل الطريق إماماً ؛ لأنه يُؤَمُّ ويُتَّبع»[١] .

وقال ابن قتيبة : «لأن المسافر يَأتَمُّ به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد»[٢] .

وقال أبو عبيدة : «الإمام كل ما ائتممت[٣] به واهتديت به[٤] ، ومن هذا [قيل][٥] للحبل الذي يَمُدُّه البَنَّاء : الإمام»[٦] .

قوله تعالى : (مُبِينٍ) يحتمل أنه مبين في نفسه ، ويحتمل أنه بَيِّنٌ لغيره ؛ لأن الطريق يهدي إلى المقصد .

٨٠. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ﴾ قال المفسرون : «الحِجْر اسم وادٍ[٧] كان يسكنه ثمود»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قال ابن عباس والكلبي وعامة المفسرين : «يعني صالحاً وحده»[٩] ، وقال أهل المعاني : «من كذَّب نبيه الذي بُعث إليه ، فكأنه كذَّب

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩١ ، بنصه ، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ ، بنحوه .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤١ . بنصه .

(٣) في النسخ جميعها : (ما تيممت به) ، والتصويب من المصدر .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٥٤ بنصه .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٤٧ .

(٧) في (أ) و(د) : (إذا) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ ، والطبري ١٤/ ٤٩ عن قتادة ، وانظر : تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٧ عن قتادة ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، والماوردي ٣/ ١٦٩ عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٣٥١ .

(٩) لم أقف عليه منسوباً ، وورد في تفسير مقاتل :١/ ١٩٨ب ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١١ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٦ ، والخازن ٣/ ١٠١ .

جميع الأنبياء ؛ لأنهم مبعوثـــون بدين واحد ، ولا يجوز التفريق بينهم بالتصديق ، فعلى هذا يحسن وصفهم بتكذيب المرسلين»[١] .

٨١. قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ قال ابن عباس : «يريد الناقة» ، فكأن في الناقة آيات ؛ لخروجهـــا من الصخرة ، ودُنُوِّ نِتَاجِها عند خروجها ، وعِظَم خلقها ؛ حتى لم تشـــبها ناقة أخرى ، وكثـــرة لبنها ؛ حتى كان يكفيهـــم جميعاً ، إلى غير ذلك مما فيها مـــن الآيات[٢] ، وأضاف الإيتاء إليهم وإن كانت الناقة آية لصالح ؛ لأنها آيات رســـولهم ، فلو صدقوا بها كانت آيات لهم على من خالفهم .

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٦ ، وابن كثير ٢/ ٦١٢ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٣ ، وأبي السعود ٥/ ٨٧ ، وصديق خان ٧/ ١٩١ .

(٢) انظـــر : تفســـير ابـــن الجـــوزي ٤/ ٤١١ ، وتنوير المقبـــاس ٢٨٠ ، وورد غير منســـوب في تفســـير مقاتل :١/ ١٩٨ب ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، وتفســـير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٣ ، والخازن ٣/ ١٠١ .

٨٢. وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ قد ذكرنا نحتهم للجبال في سورة الأعراف[١] .

وقوله تعالى : ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من عذاب الله»[٢] ، وقال الفرَّاء وابن قتيبة : «آمنين أن يقع عليهم»[٣] .

٨٤. وقوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴾ أي ما دفع عنهم الضر ، ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من الأموال والأنعام والثمار»[٤] .

وقال الكلبي : «ما كانوا يعملون»[٥] .

قال المفسرون : «أي من أعمالهم القبيحة»[٦] .

٨٥. قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس : «يريد الثواب والعقاب» ، وقال في قوله : ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [يونس :٥] «يريد بالعدل والثواب والعقاب ، يفسر ذلك العدل الذي ذكره» . قال أهل المعاني : «يعني أن الأمم التي ذكرها

---

(١) آية : [٧٤] .

(٢) تنوير المقباس ٢٨٠ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ ، والماوردي ٣/ ١٦٩ ، والطوسي ٦/ ٣٥١ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩١ بمعناه ، الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤١ بلفظه .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٣ ، وابن كثير ٢/ ٦١٢ ، وصديق خان ٧/ ١٩٢ .

(٥) تنوير المقباس ٢٨٠ بنحوه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٥١ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠أ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، وصديق خان ٧/ ١٩٢ .

كفروا بالله وكذبوا رسله فأهلكهم ؛ لأنه خلق السموات والأرض بالحق ؛ أي بالعدل ، وهو أن يثيب المصدق ويعذب المكذب»[١] .

ثم قال لنبيه : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد عن المشركين» . ﴿ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ ، قال الكلبي : «يقول أعرض إعراضاً جميلاً بغير فحش ولا جزع»[٢] ، كأنه يقول : إن القيامة تأتي فَيُجازَوْنَ بقبيح أعمالهم فاصفح الآن .

قال المفسرون : «والصفح منسوخ بآية السيف»[٣] .

---

(١) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٤ .

(٢) تنوير المقباس ٢٨٠ بنصه ، وورد بنحوه وبمعناه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٦ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٤ ، وأبي السعود ٥/ ٨٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ب ، والطبري ١٤/ ٥١ عن قتادة والضحاك ومجاهد وسفيان بن عيينة ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٢ عن ابن عباس وقتادة ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٧ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ب ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٢٩ عن قتادة ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٠ ، والطوسي ٦/ ٣٥٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٠ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٤ عن مجاهد وقتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٤ ، وابن كثير ٢/ ٦١٢ ، ذكر القائلون بالنسخ في هذه الآية ، أنها نُسخت بآيات السيف والقتال وبراءة . ودعوى النسخ بآية السيف ـ كما مرَّ في الدراسة ـ قد توسع فيها المفسرون ، فنسخوا بها كثيراً من الآيات التي تظهر سماحة الإسلام ، ومداراة اهل الكفر والنفاق ، والحث على الصبر وتحمل الأذى عند الضعف ، ومن ذلك هذه الآية ، وفي دعوى نسخها نظر ؛ لعدم ثبوته عن الصحابة بطريق صحيح ، فلم يَنسبه إلا النحاس إلى ابن عباس ، ومع كونه من المبالغين في دعاوى النسخ ـ كما قال الزرقاني ـ فقد أورد الخبر بصيغة التمريض ، ويؤيد القول ببطلان دعوى النسخ في هذه الآية ، أنه لا تعارض بين الدعوة إلى الصفح الجميل والقتال ـ كما قال الجمل ـ لأن مورد الآيتين مختلف ، فالمسالمة مطلوبة عند الضعف ، والمسايفة مطلوبة عند القوة ؛ لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ، فانتفاء الحكم لانتفاء علته لا يعد نسخاً ، بل حتى مع توافر القوة فإن العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع الأعداء خُلق محمود ، كما فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح مع كفار قريش ، ولهذا أنكر الفخر الرازي النسخ في هذه الآية ، وقال : «وقيل هو منسوخ =

٨٦. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (قال ابن عباس : «يريد العليم)[١] بما خلق»[٢] .

٨٧. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ الآية . اختلفوا في السبع المثاني ؛ ما هي ؟ فأكثر أهل التفسير والأثر أنها فاتحة الكتاب[٣] ، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي هريرة[٤] والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير والربيع والكلبي وقتادة[٥] ، وروي

= بآية السيف ، وهو بعيد ؛ لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح ، فكيف يصير منسوخاً ؟ !» انظر : البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٠ـ٤٣ ، تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٦ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥٥٣ ، ومناهل العرفان ٢/ ١٥٠ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) ورد هذا المعنى غير منسوب في تفسير البيضاوي ٣/ ١٧٣ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، وأبي السعود ٥/ ٨٨ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ب ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ .

(٤) أخرجه بلفظه عبدالرزاق ٢/ ٣٥٠ عن أبي هريرة ، والطبري ١٤/ ٥٥ عن علي وابن مسعود بعدة روايات ، والدارقطني ١/ ٣١٣ عن علي ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ عن علي وأبي هريرة ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ عن علي وابن مسعود ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ب . عنهم ، والطوسي ٦/ ٣٥٣ عن ابن مسعود ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٥ وزاد نسبته إل ابن المنذر عن عمر ، وزاد نسبته ـكذلكـ إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن الضريس وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي ، وزاد نسبته ـكذلكـ إلى ابن الضريس وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود ، وزاد نسبته ـكذلكـ إلى ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٥٦ عنهم ماعدا الضحاك والكلبي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ عن مجاهد وقتادة ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٠ب بلفظه عنهم ما عدا قتادة ، والماوردي ٣/ ١٧٠ عن الربيع وأبي العالية والحسن ، والطوسي ٦/ ٣٥٣ عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٠ عن الحسن وسعيد وقتادة ، وابن عطية ٨/ ٣٥٠ عن الحسن ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٣ عن الحسن وسعيد ومجاهد وقتادة ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ عنهم ما عدا الربيع والكلبي ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٤ عن الحسن وأبي العالية والربيع ، والخازن ٣/ ١٠١ عن الحسن وسعيد ومجاهد وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦١٣ عن الحسن ومجاهد وقتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٦ وعزاه إلى ابن الضريس عن مجاهد ، وزاد نسبته إلى ابن الضريس عن قتادة ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن أبي العالية .

ذلك مرفوعاً أن النبيّ ﷺ قرأ الفاتحة فقال : «هي السبع المثاني»[١] رواه أبو هريرة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وسعيد بن جبير[٢] ، واختيار الفرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] ، وعلى هذا سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها[٥] سبع آيات ، وهي تُثَنى في كل صلاة ؛ تقرأ في كل ركعة ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع[٦] .

وقال أبو إسحاق : «لأنه يثنى بها في كل ركعة مع ما يقرأ من القرآن»[٧] ، قال أبو الهيثم : «أي يجعل اثنين ؛ من قولك : ثَنَيْتُ الشيء ثنياً ؛ أي عطفته أو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٤) في كتاب التفسير ، باب الحجر بنصه ، وأبو داود (١٤٥٧) في كتاب الوتر ، باب فاتحة الكتاب بنحوه ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب ولقد آتيناك سبعاً من المثاني بنحوه ، والطبري ١٤/ ٥٨ بنصه بعدة روايات ، والدارقطني في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ١/ ٣١٢ بنحوه ، والحاكم في كتاب التفسير ، باب الحجر (٢/ ٣٥٤) بنحوه ، وقال على شرط مسلم ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ب . بنصه .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٦ بنحوه وبروايتين ، من طريق الحجاج عن ابن جريج عن سعيد (صحيحة) ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٣ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، وابن كثير ٢/ ٦١٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٧ ونسبه إلى ابن مردويه من طريق سعيد .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ .

(٥) في (أ) و(د) : (أنها) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١أ ، بنصه عنهم ، تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٣٥٣ ، عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٠ عنهم ما عدا الربيع ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٣ عن ابن عباس ، والخازن ٣/ ١٠٢ عنهم ماعدا الربيع ، وابن كثير ٢/ ٦١٣ عن قتادة ، ووأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٦ وزاد نسبته إلى البيهقي في الشعب عن ابن عباس (لم أقف عليه) ، وزاد نسبته ـأيضاًـ إلى ابن الضريس عن قتادة .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بنصه .

ضممت إليه آخر[١] ، ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيه : مثاني ؛ لأنها تثنى بالفخذ والعضد[٢] ، قال امرؤ القيس :

وَيَخْدِي عَلى صُمٍّ صِلاَبٍ مَلاَطِسٍ
شَدِيداتِ عَقْدٍ لَيِّناتِ مَثَانِي[٣]

ومثاني الوادي مجانبُه ومعاطفُه»[٤] ، فالفاتحة وآياتها مثاني ؛ لأنها تُثَنَّى في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة على قول الأكثرين ، وعلى ما قال الزَّجَّاج : «تثنى بغيرها مما يقرأ معها»[٥] ، (وقال بعض أهل المعاني : آيات الفاتحة سميت مثاني ؛ لأنها)[٦] قُسِمَتْ قِسْمَيْن اثنين[٧] ؛ بيانه ما رُوي أن النبيّ ﷺ قال : «يقول الله تعالى : قَسَمْتُ الصلاةَ بَيْنِي وبينَ عَبْدي نِصْفَيْنِ . .» الحديث مشهور[٨] .

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إليه .
وانظر : الصحاح (ني) ٦/ ٢٢٩٤ ، واللسان ١/ ٥١١ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٣٣ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنحوه .

(٣) ديوانه ١٦٦ ، وفيه : (ويَرْدي) بدل (ويَخدي) ، (عفر) بدل (عقد) ، و(مثان) من دون ياء .
وورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ ، واللسان (ثنى) ١/ ٥١٦ . (ويخدي) من الوخدان ، وهو ضرب من السير ، (صم صلاب) حوافر صلبة مصمتة ، (ملاطس) معاول ، شبهها بها لأنها تكسر ما تقع عليه من حجر وغيره ، (شديدات عقد) : يريد أن حوافره شديدات عقد الأرساغ ، (المثاني) المفاصل .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بنحوه .

(٦) ما بين القوسين من (ش) و(ع) وساقط من (أ) و(د) .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١أ بنحوه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٣ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ .

(٨) أخرجه بنصه مالك في الموطأ (شرح الزرقاني) في كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام ١/ ١٧٥ ، وأحمد ٢/ ٢٨٥ ، ومسلم (٣٩٥) في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة عن أبي هريرة ، وأبو داود : (٨٢١) في كتاب الصلاة ، باب من ترك قراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ، والترمذي (٢٩٥٣) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومِنْ سورة فاتحة الكتاب ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب ترك قراءة البسملة في الفاتحة .

وقال بعضهم : هي مثاني ؛ لأنها قسمان اثنان ؛ ثناء ودعاء[١] ، وهذا كالقول الأول ؛ لأن الذي روي في الخبر أن الله تعالى يقول : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي . .»[٢] معناه هذا ، وهو أن المصلي يقرأ الفاتحة ونصفها حق الربوبية من الثناء على الله ، ونصفها حظ العبودية من الدعاء والسؤال ، وقال الحسين بن الفضل : «سميت مثاني ؛ لأنها نزلت مرتين اثنتين ؛ مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ، ومرة بالمدينة»[٣] .

قال أبو إسحاق : «ويجوز -والله أعلم- أن يكون من المثاني ؛ أي مما أُثني به على الله ؛ لأن فيها حَمْدَ الله وتوحيدَه ، وذِكرَ ملائكته يوم الدين»[٤] ، المعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يُثْنَى بها على الله[٥] ، وقيل سميت

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١ب بنصه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩١ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ ، والخازن ٣/ ١٠٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١ب بنصه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٤ ، والخازن ٣/ ١٠٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ بلا نسبة . والقول بنزولها مرتين انفرد به الحسين بن الفضل ولم أقف عليه منسوباً إلى غيره ، والذين ذكروه -بلا نسبة- أوردوه بصيغة التمريض -كما في تفسير البغوي ١/ ٤٩ ، وابن كثير ١/ ١٠ وغيرهما- وقد نقل عنه ما يخالف ما انفرد به ، ففي أسباب النزول للواحدي ٢٢ قال : «وعند مجاهد أن الفاتحة مدنية ، قال الحسين بن الفضل : لكل عالم هفوة وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرَّد بهذا القول والعلماء على خلافه» . والصحيح أن مجاهد لم ينفرد بالقول إنها مدنية ، بل روي -كذلك- عن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري . انظر : تفسير ابن الجوزي ١/ ١٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، وابن كثير ١/ ١٠ ولعل الحسين رجع عن القول بأنها نزلت مرتين إلى ما ذهب إليه أكثر المفسرين أنها نزلت بمكة . وهذا هو الراجح لأمرين : أن سورة الحجر مكية بالإجماع ، وورد فيها هذه الآية ، وماكان الله ليمتنَّ على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة . أن الصلاة فرضت بمكة ، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة -كما قال : «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» ، ولا يصح القول أنه ﷺ أقام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة ، فهذا مما لا تقبله العقول . انظر : أسباب النزول للواحدي ٢١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بنصه .

(٥) تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنصه .

آيات الفاتحة مثاني ؛ لأن كلماتها مُثَنَّاة ؛ مثل الرحمن الرحيم ، إيّاك وإيّاك ، الصراط وصراط ، عليهم وعليهم[١] ، وفي قراءة عمر : وغير وغير[٢] ، وهذه الآية على هذا القول تدل على فضيلة الفاتحة ؛ لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه السورة كما امتن عليه بجميع القرآن ، فأما دخول (مِنْ) قال أبو إسحاق : «فهي على ضربين تكون للتبعيض من القرآن ؛ أي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يُثْنَى بها على الله ، وآتيناك القرآن العظيم» ، قال : «ويجوز (من) للصفة ، والمعنى آتيناك سبعاً ، هي المثاني كما قال : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج :٣٠] المعنى : اجتنبوا الأوثان ، لا أنَّ بعضَها رِجْسٌ»[٣] .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد وسعيد بن جبير : «المثاني السبع الطوال»[٤] ، وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبير في بعض الروايات ومجاهد في رواية ابن أبي

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١ب ، بنصه ، وذكره الطبري ١٤/ ٦٠ مختصراً ، ونسبه إلى اهل العربية وضعفه ، وأورده الماوردي ٣/ ١٧٠ مختصراً ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ ، والخازن ٣/ ١٠٢ .

(٢) بَيَّنَ ذلك الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ فقال : «وفي قراءة عمر : (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)» ولم أقف علي هذه القراءة ، ولو ثبتت عنه فهي شاذة ، ولعلها من قبيل التفسير .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بتصرف يسير .

(٤) أخرجه أبوداود (٧٨٦) في كتاب الصلاة ، باب من جهر بها ، بنحوه من طريق سعيد ، والنسائي الافتتاح ، ولقد آتينا سبعاً من المثاني ١٤٠/ ٢ ، بنصه من طريق سعيد ، والطبري ١٤/ ٥٢ ، ٥٣ بلفظه بعدة روايات من الطريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ من طريق مجاهد .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٥٩) رقم ١١٠٣٨ بنصه من طريق مجاهد ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ من طريق مجاهد .
وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير ، الحجر ٢/ ٣٥٥ بنحوه من طريق سعيد ، وقال على شرط الشيخين ، والثعلبي ٢/ ١٥١ب ، بلفظه من الطريقين ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٧٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩١ من طريق سعيد ، وابن عطية ٨/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ من طريق سعيد ، والخازن ٣/ ١٠٢ ، وابن كثير ٢/ ٦١٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٦ ، ١٩٧ وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس ، وزاد نسبته ـ كذلك ـ إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي من طريق سعيد .

نجيح ، وهي سبع سور من أول القرآن ؛ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً[١] ، وهذه السور سميت مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والعبر والأخبار ثُنِّيت فيها ، قاله ابن عباس[٢] ، وأنكر الربيع هذا القول ، فقال : «لا أدري كيف يكون هذا القول وهذه الآية نزلت بمكة ولم ينزل من الطِّوَل شيء»[٣] وقال : «من نَصَّ[٤] هذا القول : إن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا وحكم بإنزاله عليه ، فهو من جملة ما آتاه وإن لم ينزل عليه بعد»[٥] .

وروي عن جماعة من الصحابة أنهم قالوا : «المثاني السور التي هي دون الطِّوَل والمئين ، وفوق الـمُفَصَّل»[٦] ، واختار أبو الهيثم هذا القول ، قال : «روي ذلك عن

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٢ عن سعيد بن جبير ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١ب ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ ، والماوردي ٣/ ١٧٠ ، وقد اختلف في السورة السابعة ؛ فقيل : إنها التوبة والأنفال معاً ، وقيل : إنها سورة يونس ، وهذان القولان مشهوران ، لكنهما لا يسلمان من الاعتراض ؛ أما الأول : فلأن كلًّا من الأنفال والتوبة سورة قائمة بذاتها فعدهما سورة واحدة خلاف المعقول ، وعدهما سورتين ـ كما هما ـ يجعل الطوال ثمانية لا سبعاً ، وأما القول الثاني : فيعارض بأن سورة يونس يشبهها سور كثيرة في الطول ، بل منها ما هو أطول منها كالنحل ، لذلك فالأرجح أن السورة السابعة هي سورة التوبة منفردة . أفادني به الدكتور فضل عباس ، وقد أشار قبله السخاوي إلى احتمال أنها التوبة ـ دون مناقشة . انظر : جمال القُراء ١/ ٣٤ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٤٤ ، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٠١ ، ومناهل العرفان ١/ ٣٤٥ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ٣٢٨ ، وإتقان البرهان لفضل عباس ١/ ٤٤٨ .

(٢) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٧١ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٤ ، والخازن ٣/ ١٠٢ ، وورد بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٥ بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن الربيع ، وورد بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ ، والخازن ٣/ ١٠٢ .

(٤) هكذا وردت في النسخ جميعها بتشديد الصاد ، ولعل مقصوده من نصَّ على هذا القول ؛ أي نصره .

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٨ ، تفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ ، والخازن ٣/ ١٠٢ .

(٦) لم أقف عليهم .

رسول الله ﷺ ثم عن ابن مسعود وعثمان وابن عباس»[١] ، يدل على صحة هذا ما روى ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة ، وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني ، وفضلني ربي بالمفصل»[٢] ، والقول في تسمية هذه السورة[٣] مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني[٤] .

وقال ابن عباس في رواية عطية : «القرآن كله مثاني»[٥] وهو قول طاوس[٦] وأبي مالك[٧] ، ودليل هذا القول قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر :٢٣] ، فَسَمَّى القرآن كله مثاني ، قال أبو عبيد[٨] : «وسُمِّي القرآن مثاني لأن الأنباء

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنصه .

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٠٧ بنصه ، عن واثلة بن الأسقع ، وأبو داود الطيالسي ١٣٦ بنحوه ، وأخرجه الطبري ١/ ٤٤ بنصه ، من طريقين عن أبي قلابة وعن واثلة ، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ١٥٤ بنحوه عن واثلة ، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٧٥ بنصه ، من طريقين عن واثلة ، وأخرجه الثعلبي ٢/ ١٥١ب بنصه ، عن ثوبان ، وأورده الزركشي في البرهان ١/ ٢٤٤ ، وقال هو حديث غريب ـ ولا يقصد الغرابة الاصطلاحية ؛ لوروده من عدة طرق ـ قال : «وفيه سعيد بن بشير لين» ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٤٦ عن واثلة وعزاه إلى أحمد وقال : «فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات» ، وأورده ـ كذلك ٧/ ١٥٨ عن أبي أمامة وعزاه إلى الطبراني ، وقال : «وفيه ليث بن أبي سليم وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه ، وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وقد ذكر أحمد شاكر أن رواية أبي قلابة مرسلة ، وتوقف في رواية واثلة ، والحديث ضعيف في كل طرقه ، لكنه ضعف منجبر كما أشار الهيثمي ، وقد حسن الألباني رواية أحمد ؛ حيث تابع عمران ، سعيد بن بشير ، وقال : «الحديث صحيح بمجموع طرقه» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٤٨٠ .

(٣) أي سورة الفاتحة .

(٤) وهو قول ابن عباس ، وقد أنكره الربيع .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٧ بنحوه من طريق العوفي (غير مرضية) ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ بلفظه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٩ عن ابن عباس وطاوس ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ .

(٦) انظر : المصادر السابقة ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٤ ، والخازن ٣/ ١٠٢ .

(٧) انظر : المصادر السابقة ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٤ .

(٨) في النسخ جميعها أبو عبيدة ، والمثبت هو الصحيح ، وهو أبو عبيد القاسم بن سلاَّم الهروي ت٢٢٤هـ صاحب الغريب .

والقصص ثُنِّيت[١] فيه»[٢] ، وعلى هذا القول المراد بالسبع ، أقسام القرآن ، وهي سبعة أسباع ، فالقرآن سبعة أقسام[٣] ، ويجوز أن يكون المراد بالسبع الفاتحة ؛ لأنها سبع آيات من القرآن الذي هو مثاني[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ على هذا القول هو السبع المثاني ، إلا أنه أدخل الواو فيه لاختلاف اللفظين[٥] ، كقوله[٦] :

إِلى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمْ

وقد ذكرنا نظائر هذا كثيراً .

---

(١) في النسخ جميعها : (بُيِّنَتْ) ، والمثبت هو الصحيح .

(٢) غريب الحديث له ١/ ٤٤٣ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٦ بنصه ، ويبدو أنه اقتبسه من التهذيب للتطابق ، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ ، الخازن ٣/ ١٠٢ .

(٣) ورد بنحوه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ ، والماوردي ٣/ ١٧١ ، انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٥ . وهذه الأقسام قد أشار إليها العلماء عند حديثهم عن نزول القرآن على سبعة أحرف ، يقول أبو شامة : «هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، أنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصره على صنف واحد منها كغيره من الكتب» . وقد اختلف كثيراً في ماهية هذه الأقسام ، فذكر السيوطي نقلاً عن ابن النقيب عن ابن حبان سبع عشرة قولاً ، وأشهر هذه الأقوال أنها تدور حول : الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحلال والحرام ، والمحكم والمتشابه ، والأمثال . انظر : البرهان في علوم القرآن ١/ ٢١٦ ، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٧٤ـ٢٧٧ ، والأحرف السبعة لعتر ١٣٧ .

(٤) وهذا القول اختاره الطبري ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وأبي مالك . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٥٧ .

(٥) لعل توجيه الزمخشري أحسن ؛ إذ قال : «فإن قلت كيف صحَّ عطف القرآن العظيم على السبع ؟ وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه ؟ ! قلت : إذا عُني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن ؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يعني سورة يوسف ، وإذا عَنَيْت الأسباع فالمعنى : ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ؛ أي الجامع لهذين النعتين ؛ وهو الثناء أو التثنية والعظم» . تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٩ ، وهناك توجيهات أخرى ، انظرها في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٦ .

(٦) سبق عزوه .

٨٨. قوله تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ ﴾ الآية . قال ابن عباس : «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا ، فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها»[١] ، وقال في رواية عطاء : «ولا تتمنَّ ما فضلنا به أحداً من متاع الدنيا ، ولا يقع في قلبك حلاوتها ولا شيء من زينتهم»[٢] ، فدل هذا التفسير على أن المراد بنهيه من مد العين نهيه عن التطلع إليه رغبة فيه ، وإنما يكون مادا عينيه إلى الشيء إذا أدام النظر نحوه ، وإدامة النظر إلى الشيء يدل على استحسانه وتمنِّيه ، ولهذا فسره ابن عباس بالنهي عن التمني ، فكان ﷺ لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا ، حتى رُوي أنه نظر إلى نَعَم بني المُصْطَلِق[٣] وقد عَبِست في أبوالها وأبعارها ، (فَتَقَنَّع بثوبه وقرأ هذه الآية)[٤] ، قال أهل المعاني : «وذلك أن يجف أبعارُها وأبوالُها على أفخاذها إذا نزلت من العمل أيام الربيع ، فيكثر شحومُها ولحومُها وهي أحسن ما تكون»[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٦١ بمعناه من طريق العوفي (غير مرضية) ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٧٠ بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦١٤ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٠ .

(٣) قبيلة بني المصطلق بطن من خزاعة ، من القحطانية ، وهم بنو المصطلق ، واسمه جَذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ، وقد غزاهم النبي ﷺ في شعبان سنة ست من الهجرة ، ولقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ، فهزمهم الله ، وقُتل من قُتل ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه . انظر : الروض الأنف ٤/ ٦ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ١١٠٤ .

(٤) ورد في غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٣٨٠ بنحوه ، وتهذيب اللغة (عبس) ٣/ ٢٣٠٧ بنصه ، وانظر : النهاية لابن الأثير ٣/ ١٧١ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٨١ .

(٥) ورد بنحوه في غريب الحديث ١/ ٣٨٠ ، وتهذيب اللغة (عبس) ٣/ ٢٣٠٧ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٠ بنصه .

وقوله تعالى : ﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ قال الزَّجَّاج : «أي أمثالاً في النِّعَم»(١) ، يعنى أن الأغنياء بعضهم أمثال بعض في الغنى والنعمة فهي أزواج ، وقال ابن قتيبة : «أي أصنافاً منهم»(٢) ، والزوج في اللغة الصنف(٣) ، وقد ذكرنا ذلك ؛ يعني أصناف الكفار من المشركين واليهود وغيرهم ، وقال المفضل : «﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ ؛ أي رجالاً ونساءً أغنيناهم ، فلا تمدنَّ عينيك إلى ما أعطيناهم»(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ قال ابن عباس : «يريد على ما فاتك من الدنيا» ، قال أهل المعاني : معناه : لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك ، وقال الحسن : «لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من العذاب بكفرهم»(٥) ، ونحو هذا قال الكلبي : «لا تحزن على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب(٦) ، ثم نزل يوم بدر» .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخفض معناه في اللغة : نقيض الرفع ، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة :٣] ؛ أي أنها تخفض أهلَ المعاصي وترفع أهلَ الطاعة(٧) ، فالخفض معناه الوضع ، والجناح من الإنسان يده ، قال الليث : «يد الإنسان جناحاه»(٨) ، ومنه قوله : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ [القصص :٣٢] والعرب تقول : فلان خافض الجناح ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٦ بنصه .
(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤١ بلفظه .
(٣) انظر : المحكم (زوج) ٧/ ٣٦٥ ، واللسان ٣/ ١٨٨٦ .
(٤) لم أقف عليه .
(٥) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الماوردي ٣/ ١٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٧ .
(٦) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٧٠ بنصه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٦ .
(٧) انظر : تهذيب اللغة (خفض) ١/ ١٠٦٦ بنصه .
(٨) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١١ .

وخافض الطير ، إذا كان وقوراً ساكناً[١] ومعنى الآية : كأنه يقول : لِنْ واسْكُنْ لهم .

قال ابن عباس : «يقول : ألِن لهم الموعظة وارفق بهم ولا تغلظ عليهم»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ : ألِن جانبك»[٣] ، ونحوه قال المفضل[٤] ، فعلى هذا جناح الإنسان جانبه ، ومنه قوله : ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه :٢٢] والعرب تقول : فلان لين الجانب ، إذا كان سهل الخلق منبسطاً ، كما تقول في ضده : فلان منيع الجانب ، ومنه قوله : ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت :٥١] .

٨٩. قوله تعالى : ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ قال ابن عباس : «يريد أُنذركم سطواتِ اللهِ وسخطه وعذابه ، وأبين لكم ما يقربكم إلى الله ويبعدكم من الله» .

٩٠. ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ اختلفوا في المقتسمين من هم ؟ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ والإيمان به ، وهم ما بين ثمانية وثلاثين إلى الأربعين»[٥] ، وقال مقاتل بن سليمان : «كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عِقابَ[٦] مكة وطرقها ، يقولون

(١) ورد في تهذيب اللغة (خفض) ١/ ١٠٦٦ بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٥٧ .

(٢) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٧٠ بنحوه ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٦ ، وتنوير المقباس ٢٨١ بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ١٩٩أ ، والطبري ١٤/ ٦١ ، والثعلبي ٢/ ١٥٢أ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٦ بلفظه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١١ .

(٦) العَقَبَةُ : طريق وعر في الجبل ، والجمع عَقَب وعِقاب . انظر : جمهرة اللغة (عقب) ١/ ٣٦٤ ، والمحيط في اللغة ١/ ١٩٧ .

لمن سلكها : لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون ، فكانوا يُنَفّرون النُزَّاعَ إليه بأنه ساحر وأنه كاهن وأنه شاعر»[١] ، وهذا القول اختيار الفرَّاء قال : «سُمُّوا مقتسمين لأنهم اقتسموا طُرُقَ مكة[٢] ، فأنزل الله بهم جَرَباً فماتوا شر ميتة ،» وقال في معنى الآية : «يقول : أنذرتكم ما نزل بالمقتسمين» ، قال صاحب النظم المعنى : «إني أنذرتكم ما أنزلناه على المقتسمين»[٣] ، وتكون الكاف زائدة ؛ وزيادة الكاف قد توجد في مواضع من الكلام[٤] ؛ كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١] ، وقول رُؤبة :

لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فيها كَالْمَقَقْ[٥]

قال النحويون : الكاف التي هي حرف جار قد تكون زائدة مؤكدة بمنزلة الباء في خبر ليس[٦] ، وذكر صاحب النظم وجهاً آخر ، هو أن يكون التأويل : ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ : عذاباً ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ ، وعلى هذا :

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ١٩٩أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩١ ، ومعظم الذين ذكروا هذا القول نسبوه للفرَّاء ، ومقاتل سابق للفرَّاء .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٢ بنصه .

(٣) وهو كقول الفرَّاء ؛ قال : «يقول أنذرتكم ما أُنزل بالمقتسمين» ٢/ ٩١ .

(٤) انظر التعليق على القول بالزيادة في : القرآن ، عند الآية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٥) ديوانه ١٠٦ ، وورد في سر صناعة الإعراب :١/ ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ٢٦ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٦٤ ، والخزانة ١/ ٨٩ ، وبلا نسبة في المقتضب ٤/ ٤١٨ ، والمسائل البغداديات ٤٠٠ ، والإنصاف ٢٥٧ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤٠٩ . (اللواحق) جمع لاحقة ، وهي الهزيلة الضامرة ، (الأقراب) جمع قُرب ؛ وهي الخاصرة ، (المقق) هو الطُّول ، وقيل الطول الفاحش في دقة ، والمعنى : هذه الخيول أو الأُتن خماص البطون ، قد أصابها الهزال وضمرت بطونها مع ما بها من طول فاحش . والشاهد : (كالمقق) حيث جاءت الكاف زائدة ، لا تدل على معنى التشبيه ، إذ المقق : الطول ، ولا يقال في الشيء كالطُّول ، وإنما يقال : فيه طُول . انظر : سر صناعة الإعراب :١/ ٢٩٢ ، والانتصاف من الإنصاف بهامشه ١/ ٣٠٠ .

(٦) انظر : سر صناعة الإعراب :١/ ٢٩١ بنصه ، والمقتضب ٤/ ٤١٨ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ٢٦ .

المفعول محذوف وهو المشبه ، ودل عليه المشبه به ، وهذا كما تقول في الكلام : رأيت كالقمر في الحُسْنِ[١] ؛ أي رجلاً ، وما تريد[٢] . وقال ابن عباس في رواية أبي ظبيان : «المقتسمين هم اليهود والنصارى»[٣] .

واختلفوا لم سُمّوا مقتسمين ؟ قال ابن عباس في هذه الرواية : «لأنهم جعلوا القرآن عضين ؛ آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه» .

وقال عكرمة : «لأنهم اقتسموا القرآن استهزاءً به ، فقال بعضهم سورة كذا لي ، وقال بعضهم سورة كذا لي»[٤] .

وقال مجاهد : «لأنهم قسموا كتابهم فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه»[٥] .

---

(١) نقل الفخر الرازي قول صاحب النظم وتوضيح الواحدي له بنصه دون عزو . تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٢ .

(٢) يقصد تقديره : رجلاً أو ما تريد أن تقدَّره .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٥) التفسير ، في كتاب الحجر ، باب قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ بنصه ، والطبري ١٤/ ٦١ بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٣ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٦ ، والثعلبي ٢/ ١٥٢أ ، والماوردي ٣/ ١٧٢ ، والطوسي ٦/ ٣٥٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٣ ، وابن عطية ٨/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٨ ، والخازن ٣/ ١٠٣ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٢ بنحوه ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ١٧٢ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٨ ، والخازن ٣/ ١٠٣ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٣ بنحوه ، ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ لكنه قال : «فرقوا القرآن» ، والصحيح كما في كل الروايات فرقوا كتبهم ، والثعلبي ٢/ ١٥٢أ بمعناه ، والماوردي ٣/ ١٧٢ بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٧ ، والخازن ٣/ ١٠٣ .

وقال مقاتل بن حيان : «اقتسموا القرآن ؛ فقال بعضهم : سحر (وقال بعضهم : شعر)[١] وقال بعضهم : كذب ، وقال بعضهم : أساطير الأولين»[٢] .

وقال ابن زيد : «المقتسمون هم قوم صالح تقاسموا ، من القَسَم لا من القِسْمة»[٣] ، ونحواً من هذا قال ابن قتيبة : «جعل المقتسمين : الذين تحالفوا على تكذيب محمد ﷺ وأن يذيعوا ذلك [بـ][٤] كل طريق»[٥] ،كما ذكرنا في القول الأول[٦] .

٩١. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ ، ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من صفة المقتسمين ، إلا على قول ابن زيد ، فإنه يكون ابتداءً وخبره في (لنسألنهم) ، وذكر أهل اللغة في واحد عضين قولين ؛ أحدهما : أن واحدها عِضَة ؛ مثل : عزة ونزة وثبة ، وأصلها عِضْوة من : عضَّيتُ الشيء ، إذا فرَّقته[٧] ، وكل قطعة عضة ، وهي مما نقص منها واوٌ ؛ وهي لام الفعل -مثل قِلَة وعِزَة- وبابها ، والتعضية التجزئة والتفريق ،

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٢ بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٣ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢أ بنحوه ، والماوردي ٣/ ١٧٢ بمعناه ، والطوسي ٦/ ٣٥٤ بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٨ ، وابن كثير ٢/ ٦١٤ .

(٤) إضافة يقتضيها السياق ؛ كما في المصدر .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٢٤١ بنصه .

(٦) وقد لخَّص الطبري الأقوال الواردة في المقتسمين ، فقال : «هم قوم صالح أو اهل الكتاب أو كفار قريش» ، ثم ذكر أن النص محتمل لأي من الفرق الثلاث ما دام أنه لم يخصص ، فوجب حمله على كل من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعض وتصديق بعض . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٦٣ ، ٦٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عضه) ٣/ ٢٤٧٧ ، والصحاح ٦/ ٢٢٤١ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ١١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب .

ورواه أبو ظبيان عن ابن عباس في عضين ما ذكرناه في المقتسمين ، ويقال : عضيت الشاة والجزور تعضية ، إذا جعلتها أعضاء وقسمتها .

وفي الحديث : «لا تَعْضية في ميراثٍ إلا في ما حمل القَسْمُ»[١] ؛ أي لا تجزئة في ما [لا][٢] يحتمل القَسْم ؛ كالجوهرة والسيف وغيرهما ، وهذا معنى قول المفسرين وأكثر أهل المعاني ؛ قال ابن عباس في قوله : ﴿ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ : «يريد جَزَّؤُوهُ أجْزاءً ؛ فقالوا : سحر ، وقالوا : أساطير الأولين ، وقالوا : مفترى»[٣] ، وهذا قول قتادة واختيار الزَّجَّاج[٤] وأبي العباس[٥] وأبي عبيدة[٦] ، ويكون المعنى على هذا : جعلوا القول في القرآن عضين حين اختلفت أقوالهم وتفرقت في وصف القرآن .

---

(١) أخرجه الدارقطني ٤/ ٢١٩ في كتاب الأقضية والأحكام ، باب المرأة تقتل إذا ارتدت ، بنحوه بروايتين عن أبي بكر ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٣٣ في كتاب آداب القاضي ، باب مالا يحتمل القسمة ، بنحوه بروايتين ، وورد في النهاية ٣/ ٢٥٦ ، والكنز ١١/ ٩ ، والحديث ضعيف كما قال الشافعي : قال : «ولا يكون مثل هذا الحديث حجة لأنه ضعيف ، وهو قول من لقينا من فقهائنا» ، وقال البيهقي : «وإنما ضعفه لانقطاعه» ، وهو قول الكافة ، وعلة أخرى أن الحديث يدور على صديق بن موسى ، وهو ليس بحجة كما في الميزان ٣/ ٢٨ ، وقد أشار إلى ذلك الآبادي في ذيل سنن الدارقطني ٤/ ٢١٩ .

(٢) في النسخ جميعها من دون (لا) ، ولا يستقيم المعنى إلا بها ؛ لأن المراد النهي عن تفريق ما يكون تفريقه ضرراً على الورثة ؛ كأن تقسم جوهرة نفيسة أو ثوب نفيس فتنقص بذلك قيمته .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٥) في كتاب التفسير ، باب الحجر بنحوه عن ابن عباس ، والطبري : ١٤/ ٦٤ـ٦٦ عنهما بنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ عنهما ، والحاكم ٢/ ٣٥٥ في كتاب التفسير ، باب الحجر بنحوه ، والماوردي ٣/ ١٧٣ عن ابن عباس ، والطوسي ٦/ ٣٥٤ عن قتادة ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٨ عنهما ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٩ ، والخازن ٣/ ١٠٣ ، وابن كثير ٢/ ٦١٤ ، وتنوير المقباس ٢٨١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٨ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق ، عن ابن عباس .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٦ بنحوه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٩ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٥٥ بمعناه .

القول الثاني : أنها عِضَة ، وأصلها عِضْهة ، فاستثقلوا الجمعَ بين هاءين ، فقالوا : عِضَة ؛ كما قالوا : شَفَة والأصل شَفْهة[١] ، بدليل قولك : شافهت مشافهة ، وسَنَة وأصلها سَنْهة في أحد القولين[٢] ، وعلى هذا ؛ الهاء لام وهي من العضة بمعنى الكذب ، ومنه الحديث : «إيَّاكم والعِضَة»[٣] .

وقال ابن السكيت : «العَضِيْهُ أن يَعْضِه الإنسانَ ويقول فيه ما ليس فيه»[٤] ، وهذا معنى قول عكرمة واختيار الكسائي[٥] ، وقول الخليل في ما روى عنه

(١) انظر : تهذيب اللغة (عضة) ٣/ ٢٤٧٨ ، ومجمل اللغة ٢/ ٦٧٣ ، والصحاح ٦/ ٢٢٤١ ، وشرح الفصيح للزمخشري ٢/ ٦١١ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ١١١ ، وتفسير الطبري ١٤/ ٦٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٢ب .

(٢) ذكر أبو علي الفارسي أن لام الكلمة المحذوفة يجوز أن تكون واواً أو هاءً ؛ لقولهم في (سنة) (أَسْنَتُوا) ـأجدبوا ـ ومنها ؛ (سنوات) ، أصلها واو ، وفي قولهم : (ساناه) ـعامله بالسنة ـ ومنها : (نخلة سَنْهاء) ـأصابتها السنة ـ أصلها هاء ، وقولهم في (عضه) : (عِضَوات) أصلها واو ، وفي قولهم : (عِضاه ، وبعير عاضه ، وناقة عاضهة) أصلها هاء . انظر : المسائل الحلبيات ٣٤٥ ، والمسائل البغداديات ١٥٨ ، وسر صناعة الإعراب :١/ ٤١٨ ، والمحكم (عضه) ١/ ٥٩ .

(٣) جزء من حديث طويل يتكون من عدة فقرات ، كهجر المسلم ، والصدق والكذب ، وأحسن الكلام . . ، وقد أخرجه عبدالرزاق في المصنف ، باب القدر ١١/ ١١٦ بنصه ، والطبراني في الكبير ٩/ ٩٨ بنصه ، قال محقق المعجم الكبير : «قال شيخ الإسلام في إقامة الدليل ٥٩ : رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة إلى محمد بن جعفر بن أبي كثير عن موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال . . فذكره ، وهذا إسناد جيد ، لكن المشهور أنه موقوف على ابن مسعود . وأفاد كذلك المحقق أن الألباني ضعفه ـ دون أن يذكر أين . وورد برواية : ألا أُنبِّئكم ما العَضْه ؟ هي النميمةُ القالةُ بين الناس» ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم النميمة .

(٤) إصلاح المنطق ٣٥٣ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (عضه) ٣/ ٢٤٧٧ بنصه ، وفيها : (العَضِيْهَةُ) بدل (العضية) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عضه) ٣/ ٢٤٧٧ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٥٦ .

الليث[١] . قال عكرمة : «العضه السحر بلسان قريش ، وهم يقولون للساحر : عاضِه»[٢] .

وقال ابن الأعرابي : «العضة والتُّوَلة[٣] السحر»[٤] . وذكر الفرَّاء القولين جميعاً في المصادر والمعاني[٥] ، وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ جعلوه سحراً مفترى ، وجمعت العضة جمع ما يعقل لِمَا لحقها من الحذف ؛ فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً مما لحقها من الحذف ، وقد ذكرنا شرح هذا عند قوله : ﴿ ثُبَاتٍ ﴾[٦] [النساء :٧١] وفي جمع أرض[٧] .

---

(١) كتاب العين ١/ ٩٩ بمعناه .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٥٠ بنصه ، والطبري ١٤/ ٦٦ بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٣ ، وتهذيب اللغة (عضه) ٣/ ٢٤٧٧ بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٣ ، وانظر تفسير الزمخشري ٢/ ٣٢٠ ، وابن عطية ٨/ ٣٥٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦١٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٨ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٣) التُّولة والتِّوَلة : شيءٌ يُشبه السحر ، يُحببُ المرأة إلى زوجها . المحيط في اللغة (تول) ٩/ ٤٦٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٢ مختصراً ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٣ نقلهما عن الواحدي بنصه بلا نسبة .

(٦) واحد الثُبات : ثُبَةٌ ، انظر : الغريب لابن قتيبة ١/ ١٢٧ ، وتهذيب اللغة (ثاب) ١/ ٤٦٥ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٣١٧ .

(٧) لم أقف على الآية التي أشار أنه تعرض فيها لجمع أرض ، وقد جمعت (أرضون) ، والقياس يقتضي جمعها (أرضات) لأنها مؤنث ، فلما حذفت الهاء ـ أي من أرضة ـ عوضوا عنها في الجمع بالواو والنون ، فقالوا (أرضون) وفتحوا الراء في الجمع ليدخل الكلمة ضرب من التغيير تميزاً لها لمخالفة الأصل ، وليعلم أن سبيلها لو جمعت بالتاء أن يفتح راؤها ، فيقال : (أرَضات) . انظر : شرح المفصل ٥/ ٥ .

قال الفرَّاء : «ومن العـرب من يجعلها بالياء على كل حـال ، ويعرب نونها فيقول : عِضِينُك ، ومررت بعِضِينِك» ، وأنشد :[١]

دَعَـانِيَ مِنْ نَجْـدٍ فَـإِنَّ سِنِينَـهُ لَعِبْنَ بَنَـا شِيبـاً وَشَيَّبْنَنَـا مُرْدا[٢]

قال وأنشدني بعضُ بني أسد[٣] :

مِثْل الـمَقَالِي ضُرِبَتْ قُلِينُها[٤]

قال : «وإنما يجـوز هذا في ما نقص لامها ؛ لأنهم توهموا أن النون أصلية وأن الحرف على فعيل ، ألا ترى أنهم لا يقولون هذا في الصالحين والمسلمين ؟ وكذلك

---

(١) البيت للصمة بن عبدالله القُشَيْري ت٩٥هـ .

(٢) ورد في تكملة الإيضاح العضدي ٢٠٧ ، وشرح شـواهد الإيضـاح ٥٩٧ ، وشرح المفصل ٥/ ١١ ، وشرح التصريح ١/ ٧٧ ، والخزانة ٨/ ٥٨ ، وورد بلا نسبة في المخصص ٩/ ٦٦ ، والاقتضاب ١٩٣ ، وأمالي ابن الشـجري ٢/ ٢٦١ ، واللسان (نجد) ٧/ ٤٣٤٦ ، و(سنه) ٤/ ٢١٢٧ ، وأوضح المسالك ١٤ (صـدر) ، وشرح ابن عقيـل ١/ ٦٥ ، وفي بعض هذه المصادر (ذراني) بـدل (دعاني) ، والمعنى واحد ، وهو أمر ومعناه : اتركاني من ذكر نجد . (سـنينه) : جمع سنة ، وهي هنا إما بمعنى العام وإما بمعنى القحط . (شِيباً) : جمع أشيب ، وهو الذي ابيضَّ شعره ، (مُرداً) جمع أمرد ، وهو الذي لا شعر بعارضيه . والشاهد قوله : (سـنينَه) بإثبات النون ولم تسقط للإضافة ، وعلامة نصبه الفتحة لا الياء وإلا لقال : (سـنيْه) بحذف النون للاضافة وهذه لغة بني عامر ، فإنهم يعربون المعتل اللام بالحركات الثلاث على النون مع لزوم الياء ؛ لأنها أخـف عليهم ، ولأن النون قامت مقام الذاهب من الكلمة ، ولو كان الذاهب موجوداً لكان الإعراب فيه كسـائر المفردات ، وكذلك يكون ما قام مقامه . انظر : شرح التصريح على التوضيح ١/ ٧٧ .

(٣) لم أقف على القائل ، وفي المصدرين ـالذين وقفت عليهماـ نُسب إلى الفرَّاء .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (قلا) ٣/ ٣٠٢٥ ، واللسـان (قلا) ٦/ ٣٧٣٢ ، القُلَـة والمِقْلَى والمقلاء : عودان يلعب بهما الصبيان ، فالمِقلى العود الكبير الذي يُضرب به ، والقُلَة الخشبة الصغيرة التي تُنصب ، وهي قَدر ذراع ، وجمع المقلى المَقالي ، الشـاهد : (قُلِينُها) حيث جعـل النون كالأصلية فرفعها ، وذلك على التوهم ، ووجه الكلام فتح النون لأنها نون الجمع .

قولهـــم : الثبات واللغات ، ربما أعربوا التاء منها بالنصب والخفض فيتوهَّمون أنها هاء وأن الألف قبلها من الفعل» ، وأنشد[١] :

إِذا ما جَـــلاَهَا بِالإِيَـــامِ تَحَيَّزَتْ ثُبَاتـــاً عَلَيْهـــا ذُلُّهـــا وَاكْتِئَابُهـــا[٢]

ولا يجـــوز ذلك في الصالحات والأخوات ، لأنهـــا تامة لم يُنقص من واحدها شيء ، قـــال : «وما كان من حرف نُقِص من أوَّلـــه مثل : زِنة و لِدة[٣] ودِية فإنه لا يقاس على هذا ؛ لأن نقصه من أوَّله لا من لامه ، فما كان منه مؤنَّثاً أومذكَّراً فأجْرِه

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (جاهلي) .

(٢) ديوان الهذليين ٧٩ ، وشرح أشـــعار الهذليين ١/ ٥٣ وفيهـــما برواية : (فلمَّا اجتلاها) ، وورد في : أدب الكاتب ٤٤١ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٤٨ ، ٣/ ١٣٣٤ وفيهـــما (ثبات) بكسر التاء ، والمنصف ٣/ ٦٣ ، والمحتسب ١/ ١١٨ ، والاقتضاب ٤٠٣ ، وشرح الجواليقي ٢٢٦ ، واللسان (أيم) ١/ ١٩٢ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ٣/ ٣٠٤ ، والمخصص ٨/ ١٨٢ ، ١١/ ٤٠ ، وشرح المفصل ٥/ ٤ .
(اجتلاها) : كشـــفها وأبرزها وأخرجهـــا ، (الإيام) : الدُّخان ؛ وجمعُه أُيُـــم ، وآمَ الدُّخانُ يَئيم إياماً : دخَّـــن ، وآمَ الرجُلُ إيامـــاً إذا دَخَّن على النَّحْل لِيَخرج من الخليَّة فيأخذ ما فيها من العســـل ، وقيل : الإيامُ : عُود يجعل في رأســـه نارٌ ثم يُدخَّنُ به على النحل ليُشْتارَ العَسَلُ ، (تحيزت) : اجتمع بعضها إلى بعـــض ، ويقال : تفرَّقت ؛ صارت فرقاً في كلِّ حيِّـــز شيء ، ويُروى (تحيرت) من الحَيرة ؛ أي بقيت لا تدري إلى أين تذهب ، (ثبات) : جمع ثُبَة ؛ وهو القطعة من القوم ومن كل شيء ، (الاكتئاب) : الحزن . والشاهد : (ثباتاً) حيث نُصبت بالفتحة وحقها الكسرة ـ كما هو الأصل في جمع المؤنث السالم ـ وحجة من نصبها أن لام الكلمة محذوف ولم تُرَد إليه في الجمع كما حكى الكســـائي : «ســـمعت لغاتَهم بفتح التاء ، لأن أصل ثُبَة ثُبْوَة ، وأصل لُغَة لُغْوَة» . انظر : شرح المفصل ٥/ ٨ .

(٣) ســـاقطة من (د) ، ولِدَةُ الرجل : تِرْبُهُ ، قال الجوهري : «والهاء عوضٌ من الواو الذاهبة من أوله ، لأنه من الولادة ، وهما لِدَان ، والجمع لِداتٌ ولِدُون» .
انظر : المحيط في اللغة (ولد) ٩/ ٣٥٧ ، والصحاح ٢/ ٥٥٤ ، واللسان ٨/ ٤٩١٥

على التمام ؛ مثل : الصالحين والصالحات ، تقول : (رأيت لِذَاتِك)[1] [ولِدِيكَ][2] ولا تقل[3] : لِدِينَك ، ولا : لِداتَك»[4] .

٩٢. و٩٣ . قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن عباس : «عما كانوا يفترون ثم أجازيهم بأعمالهم»[5] ، وقال الكلبي : «عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسله»[6] .

قال أهل المعاني : «وهذا السؤال توبيخ وتقريع ، يُسألون يوم القيامة فيقال لهم : لم عضيتم القرآن وما حجتكم في ذلك ؟ فيظهرُ خِزيُهم وفضيحتُهم عند تعذر جواب يصح»[7] ، وهذا معنى قول ابن عباس في ما روى عنه الوالبي في الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن :٣٩] قال : «لا يُسألون سؤال استفهام ؛ لأنه علم ما عملوا ، ولكن يُسألون سؤال تقريع ؛ فيقال لهم : لم عملتم كذا وكذا[8] ؟» فقوله : ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي سؤال

---

(١) ما بين القوسين كتب على هامش أ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في المصدر .

(٣) في النسخ جميعها : (ولا هتك) ولم يتبين لي معناها ، ولعلها من تصحيفات النساخ ، والتصويب من المصدر .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٢ ، ٩٣ وهو نقل طويل نقله بتصرف واختصار .

(٥) وهذا القول أولى الأقوال ؛ لكونه عاماً وشاملاً لجميع الافتراءات والمعاصي غير مقيد بنوع من المعاصي كما ذكر بعضهم .

(٦) انظر : تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٧١ ، وورد في تنوير المقباس ٢٨١ بنصه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ .

(٧) ورد بنصه تقريباً في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢/ ٣٧١ ، والطوسي ٦/ ٣٥٥ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٩ .

(٨) أخرجه الطبري ١٤/ ٦٧ بنحوه ، من طريق علي بن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب بنحوه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ ، وابن عطية ٨/ ٣٥٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦١ ، والخازن ٣/ ١٠٤ ، وابن كثير ٢/ ٦١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث ، وروي عن ابن عباس توفيقاً آخر للآيتين ؛ =

استعلام واستخبار ، (وقوله : ﴿ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ ﴾ ؛ أي سؤال تقريع وتوبيخ ، وهذا قول قطرب)[١][٢] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ معنى الصَّدْع في اللغة : الشَّقُّ والفَرْقُ والفَصْلُ[٣] ، أنشد ابن السِّكِّيت لجرير :

هُوَ الخَلِيفَةُ فَارْضَوْا ما قَضى لَكُمُ ... بِالحَقِّ يَصْدَعُ مـا في قَوْلِهِ جَنَفُ[٤]

يصدع : يفصل ، وأنشد الفرَّاء[٥] :

وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِـرامِ مَطِيَّتي ... وَأَصْـدَعُ[٦] بَيْنَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيـا[٧]

أي أشقُّ ، وتَصَدَّع القومُ ، إذا تفرقوا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم :٤٣] ، قال الفرَّاء : «يتفرقون»[٨] ، فأما معنى الآية فقال ابن عرفة :

= هو أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف ، فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها . انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٠٤ ، ونُسب لعكرمة في وضح البرهان في مشكلات القرآن ١/ ٤٩٧ ، والصحيح أن عكرمة رواه عن ابن عباس ، كما في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب ، وورد غير منسوب في كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٢٤ ، وفتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن ٣٠٠ .

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب ، بنصه تقريباً ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦١ ، والخازن ٣/ ١٠٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ش) ، (ع) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٧ ، والمحيط في اللغة ١/ ٣٢٤ ، والصحاح ٣/ ١٢٤١ .

(٤) ديوان جرير ٣٠٨ ، وورد في تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٧ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١٤ .

(٥) ليس في معانيه ، والبيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي (جاهلي) .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) ورد في المفضليات ١٥٨ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٦٥٣ ، والأغاني :١٦/ ٣٦٢ ، وذيل أمالي القالي ٣/ ١٣٣ ، والخزانة ٢/ ٢٠١ . (الشرب) جمع شارب ، (المطية) البعير ، (القينة) المغنية ، يريد أنه يعطي كلًّا منهما شطر ردائه .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٥ بلفظه .

«﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ ؛ أي فـرق بين الحق والباطل»[١] ، وروى أبو العباس[٢] عن ابن الأعرابي في قولـه : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ : «أي شُـقَّ جماعتَهم بالتوحيد»[٣] ؛ كأنه يقول : ادعهم إلى التوحيد لتفرق جماعتهم ؛ بإجابة بعضهم إيّاك فيكون ذلك تَفَرُّقَ كلمتهم ، هذا معنى قول ابن الأعـرابي ، فالصدع على هذا يعود إلى صدع جماعة المشركين ، وقال غيرُه : «فَرِّق القول فيهم»[٤] ، وعلى هذا : الصَّدع يعود إلى دعوة النبيّ ﷺ وهو أن يفرقها في الناس فيذيعها فيهم وقال أبو إسـحاق : «يقول أظهـر ما تؤمر به ؛ أُخذَ من الصَّدِيع وهو الصبـح» ، وقال : «وتأويل الصَّدْع في الزُّجَـاج ، أن يَبِيْنَ بعضُه من بعض»[٥] ، وهذا الذي ذكره أبو إسـحاق يعود إلى الشَّق أيضاً ، قال الأزهري : «وسُمّي الصبحُ صديعاً كما سُمِّي فلقاً ، وقد انصدع وانفلق وانفجـر الصبح»[٦] ، وقال ابن قتيبـة : «﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ ؛ أي أظهر ذلـك» ، قال : «وأصله الفَرْق والفتحُ ؛ أي اصدع بحقِّك الباطلَ»[٧] ، وهذا قولُ

(١) تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٨ بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (ابن عباس) ، وهو تصحيف ، والتصحيح من التهذيب .

(٣) تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٨ بنصه ، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠/ ٦١ .

(٤) تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٨ بنصه ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٧٤ عن النقاش .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٦ بتصرف يسير ، تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٧ بنصه ، ويبدو أنه نقله من التهذيب لا المعاني .

(٦) تهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٨ بنصه .

(٧) الغريب لابن قتيبة ٢٤٠ بنصه .

أهل اللغة والمعاني ، وقال ابن عباس : «أظهر»[١] ، وقال الأخفش وأبو عبيدة : «افرق»[٢] ، وقال المؤرج : «افصل»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ قال الفرَّاء : «أراد فاصدع بالأمر ، و(ما) مع الفعل بمنزلة المصدر ، وكذلك لم يعد إليه عائد من الصلة كقولك : ما أحسنَ ما ينطلق ؛ لأنك تريد : ما أحسنَ انطلاقك ، وما أحسَن ما تأمر ؛ أي أمرك ، ومثله قوله : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [الصافات :١٠٢] كأنه قيل له : افعل الأمر الذي تؤمر» ، قال : «ويجوز أن يكون المعنى : بما تؤمر به ، فحذف الجار ؛ لأن العرب قد تقول : إني لآمرك وآمر بك ، وأكفرك وأكفر بك» ، وأنشد[٤] :

إذا قَالَتْ حَذَامِ فَأَنْصِتُوهَا ... فَإِنَّ الْأَمْرَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[٥]

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ ، والخازن ٣/ ١٠٤ ، وتنوير المقباس ٢٨١ بلفظه ، وهذه الرواية أوهى الطرق ؛ لأنها من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، أخرجها أبو نُعيم في الدلائل ٢٧٠ ، وقد رويت عن الكلبي ـ نفسه ـ في تفسير هود ٢/ ٣٥٨ ، والماوردي ٣/ ١٧٤ ، والغريب إيراد الواحدي ـ رحمه الله ـ الأقوال الضعيفة عن ابن عباس وتركه للروايات الصحيحة والمشهورة في بعض المواضع ، ففي هذه الآية مثلاً ؛ ثبت عن ابن عباس تفسيرها (بأمضه ، وافعل ما تؤمر) . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٦٧ من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، والثعلبي ٢/ ١٥٢ب ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٠ ، وابن كثير ٢/ ٦١٥ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، ولعل سبب إيراده للروايات الضعيفة عن ابن عباس ـ مع ورود الروايات الصحيحة ـ أنه نظر إليها من جهة اللغة والمعنى لا من جهة السند ، فاختارها ـ على القوية سنداً ـ لهذه الحيثية ، والمعروف عن الواحدي ـ رحمه الله ـ أنه يغلب عليه الاهتمام باللغة والعناية بها في تفسيره .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٥٥ بلفظه ، ولم أجده في معاني الأخفش ، وورد منسوباً للأخفش في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب بلفظه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ب بلفظه .

(٤) البيت لِلُجَيْم بن صعْب ، وحَذَامُ امرأتُه ، وهي ابنة الريَّان ، سميت بذلك لأن ضرَّتها حذمت ـ قطعت ـ يدها بشفرة .

(٥) في نسخة (أ) أثبت عجز البيت في الهامش . ورد البيت في العقد الفريد ٣/ ٨٤ ، ٣٦٥ ، واللسان (رقش) ٦/ ٣٠٦ ، و(نصت) ٢/ ٩٩ ، وشرح التصريح ٢/ ٢٢٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٩٦ ، =

قال : يريد فأنصتوا لها .

وقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾[١] [هود :٦٨] ، وقال مجاهد في قوله : ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ؛ «أي بالقرآن» ، قال : «أراد الجهر بالقرآن في الصلاة»[٢] ، فعلى هذا المراد بالصدع الجهر والإظهار ، والباء في ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ من صلة معنى الصدع ، لا لفظه ؛ وهو الجهر ، وما تؤمر هو القرآن ؛ لأنه إنما تؤمر بما في القرآن ، و(ما) في هذا القول موصولة ، وليست بمعنى المصدر ، وتكون مع الجار في موضع نصب ، وأكثر المفسرين على أن المعنى اجهر بالأمر ؛ أي بأمرك ، يعني إظهار الدعوة ، قالوا : «ومازال النبيُّ ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ أي لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لائمتهم إياك على إظهار الدعوة ولا تسمعها ، قال المفسرون : هذا منسوخ بآية القتال[٤] ؛

= وورد غير منسوب في ما ينصرف وما لا ينصرف ١٠١ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٥٥ ، وشرح المفصل ٤/ ٦٤ وأوضح المسالك ٤/ ١٣١ ، وفي المصادر جميعها : (فصدقوها) بدل (فأنصتوها) و(القول) بدل (الأمر) .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٤ بتصرف يسير . والشاهد ؛ أي كفروا بربهم .

(٢) تفسير مجاهد ٤١٩ بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٥١ مختصراً ، والطبري ١٤/ ٦٨ بنحوه من عدة روايات ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٤ بنحوه ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٨ بنحوه ، وتهذيب اللغة (صدع) ٢/ ١٩٨٧ مختصراً ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٣أ بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٢ب ، بنصه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٠ ، والفخر الرازي ١٩/ ٣١٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٢ ، والخازن ٣/ ١٠٤ ، وابن كثير ٢/ ٦١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٩ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩٩أ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ٦٨ بنحوه عن ابن عباس من طريق العوفي (غير مرضية) ، وأخرجه كذلك عن الضحاك بنحوه ، وورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٣ بصيغة التمريض ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٨ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٣أ ، والماوردي ٣/ ١٧٥ بنحوه عن ابن عباس ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ ، وابن عطية ٨/ ٣٥٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢١ ، تفسير القرطبي ١٠/ ٦٢ ، والخازن ٣/ ١٠٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٠ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي داود في ناسخه عن ابن عباس .

يعنون الإعراض عنهم وتركهم وما هم فيه ، فإن جعلنا معنى الإعراض عنهم ترك المبالاة بهم ، لا يكون منسوخاً[١] .

٩٥. قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ ؛ بك ، وهم خمسة نفر من المشركين[٢] : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعَدِيُّ بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد[٣] يغوث ، سلط الله عليهم جبريل حتى قتل كلَّ واحد منهم ؛ أي بآفة وكفى نبيه شرهم ، هذا قول عامة المفسرين[٤] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ رُوي عن ابن عباس : «فصَلِّ»[٥] ، والمعنى : صَلِّ حمداً لله تعالى ، والتسبيح يكون بمعنى الصلاة ؛ لأن الصلاة لله تعالى تنزيه له عن الشريك .

---

(١) وهذا القول هو الأولى من دعوى النسخ ، وانظر : التعليق على دعوى النسخ بآية السيف ، عند الآية [٨٥] من هذه السورة .

(٢) المشهور أنهم خمسة ، وورد أنهم ثمانية ، وسبعة كذلك . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٦٨ ، ٦٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢١ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٠ وزاد نسبته إلى الطبراني (ليس في روايته الشاهد) وابن مردويه ، وكما اختلف في العدد اختلف في صفة إهلاكهم ووقته وما جرى لكل واحد منهم .

(٣) (عبد) ساقطة من (ش) و(ع) .

(٤) أخرجه بنحوه عبدالرزاق ٢/ ٣٥١ ، والطبري ١٤/ ٧٠ بروايات عدة ، والطبراني في مجمع البحرين ٦/ ٤٦ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٦ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٣أ ، والماوردي ٣/ ١٧٥ ، والطوسي ٦/ ٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٥ ، والزمخشري ٢/ ٣٢٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢١ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٢ ، والخازن ٣/ ١٠٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٠ ، وابن كثير ٢/ ٦١٦ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، بلفظه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٧ ، والخازن ٣/ ١٠٥ ، وتنوير المقباس ٢٨١ .

وقال في رواية عطاء : «يقول : احمد ربك سَيَسُرُّك فيهم» ، وعلى هذا معناه : سبحه بالتحميد ؛ أي احمده ونزهه عن أن يستحق الحمد غيرُه .

وقال الضحاك : «أي قل سبحان الله وبحمده»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من المصلين»[٢] ؛ لأن العبد أقرب ما يكون من الله إذا سجد ، ويؤيد هذا ما روي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[٣] .

٩٩. قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد الموت»[٤] ، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة والجميع[٥] ، وسُمِّي الموت

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، بنصه ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٣ .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٢٣ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٦ ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٨ ، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب بلفظه ، والماوردي ٣/ ١٧٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٧ ، وابن عطية ٨/ ٣٦١ ، والخازن ٣/ ١٠٥ .

(٣) أخرجه الطبري ١/ ٢٦٠ بنصه عن حذيفة ، وورد في تفسير الزمخشري ١/ ٦٦ ، وابن عطية ١/ ٢٧٦ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٧١ ، وابن كثير ١٤/ ٦١٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦٣ ، وورد برواية : «كان إذا حزبه أمر صلى» ، أخرجها أحمد ٥/ ٣٨٨ ، وأبو داود (١٣١٩) في كتاب التطوع ، باب وقت قيام النبي ﷺ ، والطبري ١٤/ ٧٣ ، وورد في فيض القدير ٥/ ١٢٠ ، والكنز ٧/ ٦٩ ، والحديث مشهور ، وقد حسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١١٩٢) ، وصحيح الجامع الصغير (٤٧٠٣) ، وأوضح من هذا الشاهد حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ، رواه مسلم (٤٨٢) في كتاب الصلاة ، باب مايقال في الركوع والسجود ، وأبو داود (٨٧٥) في كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٢٣ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٦ ، وتنوير المقباس ٢٨١ .

(٥) تفسير مجاهد ٤١٩ بلفظه ، وورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٥٢ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٧٤ بلفظه عنهم ، وأورده البخاري في الفتح ٨/ ٣٨٣ معلقاً بصيغة الجزم عن سالم بن عبدالله ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٧ عن مجاهد ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٦ ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٨ عن مجاهد ، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، والماوردي ٣/ ١٧٦ عنهم ، والطوسي ٦/ ٣٥٦ عنهم ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٧ ، والزمخشري ٢/ ٣٢٠ ، وابن العربي ٣/ ١١٣٩ ،

اليقين ؛ لأنه مُوْقِن به جميعُ العقلاء ، فاليقين بمعنى الـمُوْقَنُ به ، ولم يعرف الأصمعي فعيلاً بمعنى مُفْعَل ، حتى قَرَّرَ له ذلك ابن الأعرابي ، واحتج عليه بقولهم : شيء متربّصٌ وتَرَبُّص[1] ، وليل مُبْهَم وبَهِيْم ، وشراب مُنْقَعٌ ونَقِيْع[2] ، فإن قيل ؛ أي فائدة لهذا التوقيت ولا عبادة على الميت ؟ وإذا كانت العبادة تنقطع بالموت ، فلم قال حتى الموت ، وهو منقطع بالموت لا محالة ؟ !

قال أبو إسحاق : «مجاز هذا الكلام مجاز أبداً ؛ المعنى : اعبد ربك أبداً ؛ لأنه لو قيل : اعْبُدْ ربك بغير توقيت ، لجاز إذا عبد الإنسانُ مدةً أن يكون مطيعاً ، فإذا قال : ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ ؛ أي أبداً وما دمت حياً ، فقد أُمر بالإقامة على العبادة»[3] .

* * *

وابن عطية ٨/ ٣٦٢ عنهم ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٣ عن مجاهد ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٤ عنهم ، والخازن ٣/ ١٠٥ ، وابن كثير ٢/ ٦١٦ ، ٦١٧ عنهم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، والقياس يقتضي أن تكون : مُرْبَص ورَبِيْصٌ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٧ بنصه ، وفي هذا رد على اهل الضلال الذين جعلوا للعبادة أجلاً تنتهي عنده ؛ لذلك فسروا اليقين بالمعرفة ، فإذا وصل أحدهم إلى مقام المعرفة سقط عنه التكليف . انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦١٧ ، والألوسي ١٤/ ٨٧ ، والقاسمي ١٠/ ٧٥ .